

الفصل الثاني

جهوده الفكرية والاجتماعية

obeikandi.com

أولاً: جهوده الفكرية

* ندوة العلماء :-

كانت هذه الفترة فترة الصراع بين القديم والحديث على الساحة الدينية والتعليمية في الهند، وكانت مدرسة ديوبند تمثل جانب الاهتمام بالقديم في التمسك بتدريس العلوم الدينية بينما كانت كلية على كَرطه رافعة لواء التمسك بالعلوم الغربية الحديثة وتدعو إلى العب من فيض الحضارة الحديثة وبذلك كانت كل مؤسسة منهما على النقيض من المؤسسة الأخرى في الأهداف الإصلاحية والتعليمية بحيث أصبح من الصعب أن تؤتى كل من هاتين المؤسستين ثمارها الإصلاحية بمفردها .

فالمدرسة القديمة التي تزعمها علماء الدين لم تتمكن من التعامل مع الحضارة الغربية لانكماشها تحت ظروف خاصة إلى مركز الدفاع بدلاً من الهجوم وانحصارها في مسائل الفلسفة القديمة والمنطق البالي والاختلافات السطحية في الفقه وكتابة الشروح والحواشي على الشروح وأصبحت في معزل عن معترك الحياة وغافلة عن مقتضيات العصر .

أما المدرسة الحديثة التي قادها السير سيد أحمد خان فقد استولت عليها نزعة التقليد والتطور في الآداب ومجارة الإنجليز ولم تبرز النجاح المنشود من الاستفادة من تجارب الغرب والتكيف مع المجتمع الإسلامي وتخريج جيل مثالي .

عندئذ أصبحت الحاجة ماسة إلى مؤسسة علمية معتدلة تحاول إيجاد نوع من التوافق والوسطية بين النظام التعليمي القديم والجديد فكانت «ندوة العلماء» إحدى المحاولات لتضييق الهوة بين الاتجاهين وقد وردت فكرة إنشاء هذه المؤسسة في ذهن شبلى النعماني والشيخ محمد علي المونجيري ومولانا محمد لطف الله ومولانا حافظ شاه محمد حسين^(١) ومولانا أشرف علي تهانوي ومولانا محمود الحسن الديوبندي وغيرهم من العلماء الذين اجتمعوا وقرروا فيما بينهم أن يقيموا مجلساً للعلماء ويجتمعوا في العام القادم في مدرسة فيض عام ويدعوا لها العلماء من جميع أنحاء الهند وقرروا أن يسموا هذه الجلسة «ندوة العلماء» .

وانعقدت الجلسة الأولى لندوة العلماء في ١٥ و ١٦ و ١٧ شوال سنة ١٣١١هـ الموافق

(١) معين الدين عقيل : تحريك آزادي مين اردو كاحصه : ٣١٥ .

٢٢ و ٢٣ و ٢٤ أبريل سنة ١٨٩٢م في مدرسة فيض عام كانپور ورأسها مولانا محمد لطف الله ورتب شبلى وعبدالحق حقانى قواعدھا ولوائحھا وكان الهدف منها ازدهار المدارس العربية ونشر الإسلام وحل النزاع المتبادل في الأفكار بين العلماء وإصلاح المقررات الدراسية وتطوير علوم الدين وإنشاء دار للإفتاء^(١).

وقدم شبلى عدة اقتراحات في هذه الجلسة هي :-

(١) إصلاح طريقة التعليم الحالية.

(٢) مشاركة مديري المدارس الإسلامية في جلسات الندوة كل عام.

(٣) تحديد مدرستين أو ثلاث لتطبيق مناهج الندوة مثل مدرسة ديوبند ومدرسة فيض عام كانپور والمدرسة الأحمدية بآره على أن يكون لهم فروع منتشرة في المدن والقرى.

(٤) بناء مبنى لمدرسة فيض عام يستوعب مائتي طالب مغرب.

وانعقدت الجلسة الثانية للندوة في لكانا في ١٣١٢هـ / أبريل ١٨٩٥م وشارك شبلى في هذه الجلسة وألقى تقريراً مسهباً عن واجبات العلماء وذكرهم فيه بدورهم الطبيعي في المجالات السياسية والإصلاحية والتعليمية وطبع هذا التقرير مع موضوعات الندوة الأخرى بعنوان «الموضوعات الأربعة».

ثم انعقدت جلسة ثالثة مهيبة للندوة في بانسى بريلي في ٢٦ شوال ١٣١٣هـ / ١١ أبريل ١٨٩٦م وشارك شبلى فيها وألقى خطبة عن أهداف الندوة وأهمية دار العلوم وتأثير بكلمته أصحاب الشكافات الجديدة وحاول التقرير بين الأفكار القديمة والحديثة^(٢). وأقيمت الجلسة الرابعة في شوال ١٣١٤هـ / مارس ١٨٩٧م في ميريت وألقى شبلى كلمة شاملة مسهبة عن أهمية التعليم الدينى واقترح أن يتم تحديد نصف ساعة مرتين في الاسبوع للتعليم الدينى كما اقترح جمع التبرعات من الناس فجمعوا ألف ومائتي روبية مرة واحدة. وعقدت الندوة خامس جلستها في كانپور يومى ١٤ و١٥ شوال ١٣١٥هـ / ٨ و٩ مارس ١٨٩٨م واقترح شبلى أن يتكفل أعضاء اللجنة التأسيسية بالنفقات الأولية لدار العلوم وتمت الموافقة على هذا الاقتراح^(٣).

(١) رام بابو سكسينة : تاريخ ادب اردو : ٤٦٩ .

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى ٣٠٧ - ٣٠٨ و ٣١١ - ٣١٢ .

(٣) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٣١٤ .

وفى عام ١٨٩٨م ترك شبلى كلية على كَرطه وكرس جهوده للندوة وعمل مديراً لدار العلوم من عام ١٩٠٥ حتى ١٩١٣م وقام بتطبيق العلوم الحديثة إلى جانب علوم الدين وطبق المقررات الدراسية الجديدة واهتم بتدريس اللغة الإنجليزية لينشأ جيل من علماء الدين الذين يتقنون هذه اللغة ويستطيعون الرد بها على أغلاط المستشرقين.

تدريس العلوم الحديثة :-

كان التعليم الإنجليزي وتدريس العلوم الحديثة من الامور التى سعى إليها شبلى ليقررها ضمن مناهج الدراسة فى دار العلوم فقام بإلغاء تدريس المنطق والفلسفة القديمة وأحل محلها تدريس العلوم والرياضيات الحديثة وكانت أكبر الصعوبات التى عاقت ذلك أن العلماء فى تلك الحقبة لا يعرفون أى شىء عن تلك العلوم كما أن أنصار التعليم الحديث كانوا لا يستطيعون فهم المصطلحات العربية والأردية وليس لديهم القدرة على تدريسها فقام شبلى باستدعاء مولوى حميد الدين لتدريس «الدروس الأولية فى العلوم الطبيعية» وهو كتاب عربى صدر فى بيروت وتم استدعاء البروفيسير ميرزا هادى وكان بارعا فى الرياضيات والفلسفة الحديثة وذلك لتدريس رسالة «جديد هيث» أى «الفلك الحديث» ونتيجة هذا الجو العلمى الذى انتشر بين الطلاب كتب سيد سليمان الندوى موضوع «المقارنة بين العلوم القديمة والحديثة» و«تكوين الأرض والمسلمين» و«علم هيث برچند نمبر» أى «عدة ملاحظات على علم الفلك» وكتب مولوى ضياء مولوى الحسن العلوى موضوعاً بعنوان «حواس خمسة باطنى» أى الحواس الباطنية الخمس وتمت هذه المحاولات بتشجيع وتوجيه شبلى النعمانى.

تدريس القرآن الكريم :-

وحاول شبلى جاهداً - كما يبدو من كتاباته العديدة- أن يجعل تدريس القرآن وعلوم القرآن ضمن المقررات الدراسية بحيث يدرس كمادة مستقلة ولهذا طبع «إعجاز القرآن» فى مصر أدخله على الفور فى المقررات الدراسية وبدأ عام ١٩٠٦م فى تدريس القرآن بأسلوب علمى شارك فيه معظم طلبة الكلية وبعض المدرسين وبناء على هذه الدروس كتب مولوى حميد الدين الفراهى كتاب «نظام القرآن» وكان يأتى فى أيام العطلات ليدرّس القرآن للطلبة^(١).

(١) المرجع السابق : ٤٣١ - ٤٣٣ .

مكتبة الندوة :-

جاءت فكرة إنشاء مكتبة الندوة مواكبة لإنشاء دار العلوم وظهرت نواتها الأولى عندما كانت الندوة فى كانپور حيث أقيم فى ذلك الوقت فرع لدار الإفتاء فجمعوا له عدداً من كتب الفقه، لكن عندما تأسست الندوة وعقدت جلستها السنوية فى شاهجهان پور قام حاكم دبتى مولوى عبدالرافع خان بمنح مكتبته للندوة فى اجتماع الندوة فى پتنه عام ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م، كما أهدى مولوى عبدالغنى بهارى كتبه للندوة وكان أغلبها كتباً تاريخية، كما سلم كثير من الأثرياء ووجوه القوم مكتباتهم للندوة فكانت هذه الكتب النواة الأولى لمكتبة الندوة قبل مجئ شبلى للندوة، وعندما جاء شبلى للندوة بدأ الاهتمام بإعداد المكتبة ووقف كتبه ومكتبته الخاصة فى أعظم كَرطه للندوة وكانت تقدر بثلاثين ألف روبية وتحتوى على ثروة هائلة من ذخائر التاريخ والأدب وبها مجموعة من المطبوعات الأوربية إلى جانب مطبوعات من مصر والشام وتركيا وقام شبلى بتخصيص ميزانية خاصة لشراء الكتب التى تظهر إلى جانب الهدايا التى تصل إليها حتى صارت مكتبة ضخمة .

مجلة الندوة :-

وفى عام ١٩٠٢م فكر شبلى فى إصدار مجلة باسم «الندوة» ونتيجة لجهوده الجبارة صدرت مجلة الندوة عام ١٩٠٤م وتولى مولانا حبیب الرحمن خان شروانى رئاسة تحريرها فى على كَرطه وشبلى فى حيدرآباد وطبعت فى مطبعة «مفيد عام» باكراً وكان هدفها كما هو مكتوب على صدر صفحتها الأولى: «إحياء العلوم الإسلامية وتطبيق المعقول والمنقول والمقارنة بين العلوم القديمة والجديدة» وعدد صفحاتها ٣٢ صفحة وظهر العدد الأول منها فى جمادى الأول ١٣٢٢هـ / أغسطس ١٩٠٤م وقد نشرت هذه المجلة كثيراً من الموضوعات والتحقيقات عن إصلاح المقررات الدراسية العربية والعلوم الإسلامية معظمها لشبلى وأحدثت «الندوة» ثورة فى أفكار العلماء وفتحت أمامهم مجالات رحبة للأبحاث الحديثة فظهرت لهم سبل جديدة لخدمة الإسلام والعلوم الإسلامية^(١).

وحاول شبلى بعد ذلك أن ينمى الموارد لدار العلوم عن طريق التبرعات من الأمراء والحكام وخاصة حاكم بهوبال ورامپور وآغا خان وشارك باقتراحات مفيدة فى الجلسات

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٤٣٤ - ٤٣٧ .

السوية للندوة وأقام أول معرض علمى للآثار والمخطوطات النادرة والمآثر العلمية الإسلامية فى مارس ١٩٠٦م حيث عقدت الندوة جلساتها السوية فى مارس ١٩٠٦م. وفى جلسة الندوة السوية المنعقدة فى مارس ١٩٠٧م تم توزيع الشهادات على الطلاب المتفوقين وقلدهم شبلى العمائم.

سيد رشيد رضا المصرى صاحب مجلة المنار ورئاسة الجلسة السوية للندوة :-

أقامت الندوة جلسة مهيبه لها فى لكتناو عام ١٩١٢م وتعد من أنجح جلسات الندوة من الناحية المعنوية حيث شارك فيها لأول مرة عالم مصرى وهو سيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار والتلميذ الوفى للإمام محمد عبده وكان فى ذلك الوقت يحاول بناء معهد عصرى على طراز «ندوة العلماء» هو «دار الدعوة والإرشاد» وكان شبلى فى هذه الايام يكتب ردا على كتاب جورجى زيدان «تاريخ التمدن الإسلامى» باللغة العربية وعندما انتهى منه قرر أن يرسله إلى رشيد رضا مدير تحرير المنار لينشره فى مجلته ومنذ ذلك الوقت بدأت المراسلات بينهما وتوثقت علاقته به وفى تلك الاثناء كان شبلى يعد العدة للجلسة السوية للندوة وخصصت «للتبليغ» ونشر الدعوة ولهذا اقترح شبلى أن يأتى رشيد رضا إلى الهند ويرأس الجلسة السوية للندوة فوافق وتحمل مشاق السفر وكان هذا أول اتحاد يجمع بين الجهود التعليمية والتبليغية والدينية بين دولتين إسلاميتين وقد ظهر حماس شديد فى أوساط المسلمين فى الهند عندما سمعوا هذا الخبر ووصل رضا إلى بومباى فى ٢٢ مارس ١٩١٢م وعقدت الجلسة فى ٦ أبريل وبدأت بخطبة افتتاحية ثم اقترح شبلى أن يرأس رشيد رضا الجلسة لكى يبين بالتفصيل جهوده التعليمية والدينية والتبليغية فوافق الجميع فقام وألقى خطبة ذكر فيها أهم جهوده بالتفصيل بطريقة مؤثرة استمرت ساعتين ونصف وقام مولانا أبو الكلام آزاد بترجمة فورية لخطبته إلى اللغة الأردية فأضفى على الجميع سمة روحانية. يقول عن فساد التعليم: «لقد ضعفت الهمم وونت العزائم فصار الناس يختصرون المصنفات فيذكرون أهم قواعدها ومسائلها بعبارة مختصرة خالية من الدلائل والشواهد والأمثلة إلا قليلا وتباروا فى الاختصار والإيجاز فيه حتى نقل عن بعضهم أنه كان يقرأ الشئ الذى كتبه بعد عهد قريب فلا يفهم ثم حدثت عندهم طريقة شرح المختصرات ثم شرح الشروح ووضع الحواشى والتقارير عليها وجعل هذا الكتاب كله كتاب تدریس للطلاب لاجل حل رموز ذلك المتن المختصر وبيان المراد منه وما يرد عليه وعلى تلك العبارات وما يجيب بها عنها ولو بالتمهل وتحميل

الألفاظ ما لا تحتمل»^(١).

وقدم شبلى اقتراحا يطالب فيه الحكومة الإنجليزية فى الهند منح المسلمين فى الإدارات الحكومية إجازة ساعتين لصلاة الجمعة، فبدون هذه الإجازة يحرم كثير من المسلمين من أداء فرض هام وأيده فى ذلك مرزا سميع الله بيك، ثم ألقى شبلى تقريراً خاصاً لترجمة القرآن إلى الإنجليزية وبشرهم فيه بأن النواب عماد الملك مولوى سيد حسين بلجرامى منقطع تماماً لهذه الترجمة.

وقد قامت الندوة «بتقديم خدمات جليلة للهند ولعل من أهمها أنها أحدثت نهضة فى محيط العلماء السلفيين وذكرتهم بضرورة اللحاق بركاب العصر الحديث والأخذ منه بطرف بعد أن كانوا بمعزل عنه وقامت بتغيير المناهج القديمة وترتيبها حسب مقتضيات العصر»^(٢).

واستمرت الندوة فى أداء واجبها حتى اليوم رغم المعارضة التى لاقتها فى بداية إنشائها من السير أنتونى ميكدونال حاكم الولايات المتحدة والذى قوض دعائم الأردية فى بهار وكان من أشد المعارضين للندوة، ومن السيد أحمد رضا خان بريلوى الذى قام بكتابة عدة رسائل حماسية للندوة وأسس جماعة معارضة لها فى كلكتا اسمها «جدوة»^(٣) لكن رغم هذه المعارضة استطاعت الندوة بجهود شبلى النعمانى أن تقوم بدور التوفيق بين التيارين الدينى فى ديوبند والعلمانى فى على كرت وه وتجمعهما على كلمة سواء.

(١) رشيد رضا : خطبة رشيد رضا المصرى : ١٠ - ١١ (طبعة آسى . لكتناو ١٩١٢م) .

(٢) رام بابو سكسينة : تاريخ ادب اردو : ٤٧٢ .

(٣) عبدالحليم الندوى : مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند : ٣٤ - ٣٥ .

القضايا الفكرية والتعليمية الأخرى

قضى شبلى حياته مدافعاً عن أفكاره وشغلته قضية التعليم والمدارس وكيفية تطوير التعليم وإصلاح المناهج وتعدى اهتمام شبلى بهذه القضية حدود الهند إلى الدول الإسلامية التي زارها تركيا- مصر- بلاد الشام حيث اهتم بزيارة المدارس والكليات والمكتبات في هذه البلاد كما أبدى اهتماما خاصا بالمناهج الدراسية هناك وقارن بين التعليم في الهند في هذه البلاد حيث كان الصراع بين التعليم القديم والتعليم الجديد على أشده في الهند والبلاد الإسلامية ولهذا حرص شبلى على إجراء مناقشات طويلة مع رموز الفكر والتعليم في مصر بصفة خاصة واهتم كذلك بقضية تطوير التعليم في الأزهر.

وكان شبلى من أشد المدافعين عن التعليم القديم وضرورة إصلاحه ليتماشى مع متطلبات العصر الحديث فلا تكون هناك فجوة كبيرة بينه وبين التعليم الإنجليزي الحديث ولا مانع من التعليم الإنجليزي الذى يتناسب مع المسلمين أى لا يقبل التعليم الإنجليزي بحذافيره كما كان يدعو السير سيد وعندما وجد أن هذا الرأى يتعارض مع القائمين على العملية التعليمية فى على كَرطه وشارك فى تأسيس ندوة العلماء التى كان الهدف من إنشائها دراسة العلوم القديمة والحديثة والتوفيق بينهما .

وفى سبيل قضايا التعليم شارك شبلى فى العديد من المؤتمرات والندوات وإقامة الجمعيات والمدارس والمكتبات وفيما يلى استعراض لهذه الجهود وما بذله شبلى فى سبيل إنجازها :-

المؤتمر التعليمى الإسلامى :-

تأسس هذا المؤتمر عام ١٨٨٦ باسم «محمد طن ايجوكيشنل كانكريس» وظل بهذا الاسم حتى عام ١٨٨٩م وعندما اشتهر «المؤتمر القومى الهندى» «اند طين نيشنل كانكريس» تم تغييره إلى «محمد طن ايجوكيشنل كانفرنس». وشارك شبلى فى أولى جلسات هذا المؤتمر عام ١٨٨٦م وألقى مقالته الشهيرة «مسلمانون كى كذشته تعليم» وعندما اقترح السير سيد إنشاء مدارس إنجليزية صغيرة عارضه شبلى ولم تتم الموافقة على طلبه بأغلبية الاصوات فقد كان شبلى يرى فى هذا الإجراء تقويضا للتعليم القديم وفى مؤتمر على كَرطه عام ١٨٨٩م ألقى شبلى قصيدة شعرية تحدث فيها عن تطوير

التعليم الذى هو بمثابة إنقاذ لاجيال المسلمين من الانصهار فى بوتقة شعوب الهند . وفى الجلسة الخامسة للمؤتمر التعليمى فى إله آباد قدم رسالة بعنوان : « ما الإضافات التى أضافها المسلمون فى العلوم التى أخذوها من مصر واليونان وفارس والهند فى عهد ازدهارهم » . وقد شارك شبلى فى جلسات المؤتمر بعد وفاة السير سيد فقد عقد المؤتمر جلسته فى رامبور عام ١٩٠٠م وفى كلكتا ١٩٠١م وتقدم الأعضاء باقتراح لإلغاء اللغة الفارسية من المناهج فى جامعة كلكتا والإبقاء عليها كمادة اختيارية فى شهادة (الليسانس) فقام شبلى وعارض بشدة هذا الاقتراح وأكد على ضرورة اللغة الفارسية « لأنها تحتوى على ذخائر التراث الإسلامى وبها مؤلفات كاملة فى الفلسفة والمنطق والطب وكانت لغة الملوك المسلمين فى أوج ازدهارهم وكتب الملوك المسلمون بها مذكراتهم التى لا مثيل لها فى لغة أخرى وبين لهم مكانة الشعر الصوفى والفلسفى الفارسى » . وفى عام ١٩٠٢م اقترح المؤتمر التعليمى تأسيس « جمعية تطوير الأردية » « انجمن ترقى اردو » واختير شبلى أول مدير لها^(١) . فى حيدرآباد بالذكن .

تطوير التعليم فى إمارة حيدرآباد ١٩٠٨م :-

أحدث تأسيس الجامعة العثمانية فى إمارة حيدرآباد ثورة تعليمية مباركة فى الهند وكان لها تاريخ حافل فقد أقيم بها فى البداية « دار العلوم للتعليم الشرقى » لكن لم يكن لها صفة مستقلة بل كانت تابعة للتعليم الشرقى لجامعة البنجاب من حيث المناهج الدراسية والامتحانات . وفى عام ١٩٠٧م أصدرت جامعة البنجاب قرارا بعدم السماح للمدارس الأخرى فى الهند بالاشتراك فى امتحانات الجامعة فاضطرت الإمارة إلى إعداد مناهج دراسية ونظام مستقل للامتحانات وكان عماد الملك سيد على بلجرامى آنذاك المسئول عن التعليم بالإمارة فاقترح تشكيل لجنة لإعداد مناهج دراسية مناسبة واستدعى شبلى وعددا من الخبراء ، وتم تكليف شبلى من قبل الحكومة بتشكيل لجنة للتعليم العربى والفارسى وسافر شبلى إلى حيدرآباد فى يونيو ١٩٠٨م وأقام هناك عدة أيام أعد فيها المنهج المقرر وقدمه مع مذكرة وضح فيها أصول إصلاح المقررات الدراسية وتعديلها وكانت فرصة عظيمة لشبلى لكى يضع برنامجاً للتعليم فى هذه الإمارة الإسلامية الكبرى . وكانت إصلاحات شبلى أول لبنة فى المناهج التعليمية للجامعة العثمانية حيث كان يحلم بتأسيس جامعة هناك^(٢) .

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ١٦١ - ١٦٧ .

(٢) شبلى : مقالات شبلى : ٥٢/٢ .

* لجنة الدراسات الشرقية ١٩١١ م :-

فى يوليو ١٩١١ م شكلت الحكومة إحدى اللجان لتطوير وإصلاح العلوم الشرقية وعقدت جلستها فى شمله واختير شبلى عضوا فيها إلى جانب عدد من الاعضاء الإنجليز على رأسهم برن جيف والعالم الألماني يوسف هارويز وقررت اللجنة ما يلى :-

(١) التوفيق بين التعليم الشرقى والغربى .

(٢) تدريس علم الآثار وإيجاد طريقة حديثة للآثار القديمة .

(٣) تطوير دراسة اللغات المحلية .

(٤) إعداد فهرس للكتب والمخطوطات القديمة فى المكتبات .

(٥) إقامة هيئة كبيرة لتنفيذ هذه الاهداف .

وقد اقترح شبلى عدة اقتراحات هى :-

(١) تعيين مفتشين من قبل الحكومة لمعاينة المدارس العربية القديمة .

(٢) تقوم الحكومة بمساعدة شهرية للمدارس الجديدة .

(٣) إقامة مدرسة شرقية على نطاق واسع فى كلكتا يمكن للطلبة مواصلة تعليمهم فيها

بعد انتهاء دراستهم فى المدارس العربية .

(٤) تصرف إعانات للدارسين فى هذه المدرسة .

(٥) تمنح شهادة يستطيع الطالب بمقتضاها العمل فى الوظائف المختلفة الخاصة

بالتحقيقات فى الموضوعات الشرقية^(١) .

الدفاع عن اللغة الأردية ١٩١٢ م :-

فى عام ١٩١٢ م أقامت حكومة إله آباد لجنة الخطة القومية «ورينكولراسكيم كميٲى» وكان الهدف منها إعداد مناهج للغة المحلية فى المدارس والكليات بحيث يمكن قراءة اللغة الأردية والهندية معا وجعل أدب لغة البهاشا إلزاميا فى كورس اللغة الأردية وكانت هذه اللجنة تضم السيد برن جيف وكيل الولايات المتحدة وبندت سندرلال وشبلى . وكان الهدف من هذه الخطة القضاء على اللغة الأردية فهب شبلى

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٥١٦ - ٥١٧ .

للدفاع عن اللغة الأردية ضد هذا المخطط وكتب مذكرة مدعومة بالدلائل والبراهين ونشرها في مجلة «معارف» في أكتوبر ١٩١٢م ويقول في نهاية المذكرة: «أقول بقوة إنه يمكن الاختيار بحرية تقريبا بين إحدى اللغتين العربية والسنسكريتية حتى المراحل الابتدائية المتقدمة لكن بالنسبة للفصول الأولية فإنه يجب الفصل تماما بين الأردية والهندية وبهذه الطريقة يمكن أن يصل إلى أعلى درجات التطور»^(١) وقد نجح شبلي في إقناع الأعضاء الإنجليز والهندوس بوجهة نظره فوافقوا.

إدارة تصحيح الأخطاء التاريخية ١٩١٠ - ١٩١٢ :-

لم يكف الإنجليز يطعنون أرض الهند حتى بدءوا في تشويه حقائق التاريخ الإسلامي لأنهم سلبوا الحكم من المسلمين وخرجوا من هذا العمل بنتيجتين: الأولى أن يبدأ الطلبة المسلمين يخجلون من تاريخ أجدادهم وثانيا أن تتولد روح العداوة والبغضاء بين الطلاب من مختلف الفرق والقوميات وقد تنبه المسلمون لذلك وبدءوا يشكون ذلك في المؤتمرات والصحف إلا أن هذه الشكاوى لم تؤثر في شيء فقام شبلي بتأسيس إدارة لتصحيح المناهج التاريخية وإزالة الأخطاء منها في مارس ١٩١٠م ورأسها سيد سليمان الندوى وكان الهدف منها التشاور مع أساتذة الجامعات في هذه الموضوعات التاريخية والرد على الكتب المليئة بالأخطاء مثل كتاب: «تاريخ الهند» لمارسدن المسعول السابق عن التعليم وكان هذا الكتاب يدرس في جامعات كلكتا وإله آباد وغيرها والكتاب الثانى هو «تاريخ الهند» لديلافوس وكان به بعض العبارات الخاطئة فكتب شبلي إلى الصحف الإسلامية لكى تؤيد اقتراحه بحذف هذه العبارات وأرسل إلى جامعة إله آباد مذكرة بتدريس كتاب ديلافوس بدلاً من كتاب مارسدن بعد حذف العبارات الخاطئة منه وعندما علم مارسدن بذلك وعد شبلي بإصلاح هذه الأخطاء فى الطبعة الثانية^(٢).

الجامعة الإسلامية ١٩١١ - ١٩١٤م :- (تحويل مدرسة على كَرطه إلى جامعة إسلامية).

كان حلم إنشاء جامعة إسلامية يراود المسلمين فى الهند وطالما بات الشعراء والكتاب يرددونها فى أشعارهم وكتاباتهم حتى ظهرت عدة أحداث ساهمت فى تحقيق حلم جامعة إسلامية، فقد كان المسلمون فى ذلك الوقت فى حالة من الحماس والحمية العارمة

(١) شبلي : مقالات شبلي : ٧٢/٢ - ٧٥ .

(٢) سيد سليمان الندوى : حيات شبلي : ٥٢٣ - ٥٢٥ .

بسبب غزو إيطاليا لطرابلس وحرب البلقان مع تركيا وانتشرت الكراهية في قلوب المسلمين تجاه الإنجليز وتضاعف هذا الإحساس ففكرت الحكومة في حيلة لامتناس غضب المسلمين فاقترحت عليهم إنشاء « جامعة إسلامية » وكان السير آغا خان في ذلك الوقت بطلا قوميا فرحب بهذا الاقتراح وجمع التبرعات الكافية لإنشاء هذه الجامعة فكتب شبلى في الندوة يؤيد هذا الاقتراح بقوله: « لم يبذل المسلمون مثل هذه الهمة والحماس منذ بداية الحكم الإنجليزي وحتى الآن وقد أصبح حلم الجامعة الإسلامية حقيقة على يد فريد قومه السير آغا خان الذي أنجز بمفرده هذا العمل الذي عجز عنه ٦٠ مليوناً من المسلمين ». وشارك شبلى في جمع التبرعات وتبرعت الندوة بعشرة آلاف روبية ونظم شبلى قصيدة فارسية بهذه المناسبة يقول في مطلعها:-

همين يك حرف از يو نيورستى مدعاً باشد كه اين سر رسته تعليم مادردست ماباشد^(١)

وكان شبلى عضواً في اللجنة التي تكونت لوضع اللوائح والقوانين الخاصة بتنظيم الجامعة واسمها « مسلم يونيورسٲى » فونديشن كميٲى » أى اللجنة التأسيسية للجامعة الإسلامية وقد شارك في الجلسة الأولى لهذه اللجنة التي عقدت في ٢٨ ديسمبر ١٩١٢م جميع اعيان وزعماء المسلمين وعلى رأسهم شبلى ومولانا أبو الكلام آزاد ومستر محمد على من جماعة الأحرار^(٢).

شبلى اسكول :-

أقام شبلى في بداية حياته بالتعاون مع أهل بلده أعظم كُـرٲه المدرسة القومية « نيشنل اسكول » وكان شبلى يعتز بهذه المدرسة لكنه غفل عنها وأهملها عندما ذهب إلى حيدرآباد ومنها إلى ندوة العلماء فتدهور مستواها وتحولت من مدرسة عليا إلى مدرسة متوسطة إلى أن قام المسئولون عنها بتغيير اسمها إلى « جارج اسكول » بمناسبة تتويج الملك جورج الخامس لكنها لم تزدهر، وعندما ترك شبلى الندوة وعاد إلى أعظم كُـرٲه قرر التفرغ لتطوير هذه المدرسة وتهدياً مولوى اسحاق لهذا الغرض كذلك وتم عقد مؤتمر تعليمي كبير في أعظم كُـرٲه لهذه المهمة وكتب شبلى في ٨ ديسمبر ١٩١٣ « إن هذا الأمر جدير بالاهتمام فيجب تحويل المدرسة القومية إلى مدرسة عليا وبناء دار إقامة لها ويكون لها لجنة منتخبة في كل مدينة وسوف تكون الإقامة في هذه المدرسة مفيدة

(١) إن هذا الكلام هو نفس ما تعنيه كلمة الجامعة، وهو أن إدارة تعليمنا بأيدينا.

(٢) المرجع السابق : ٥٣٠ - ٥٣٥ .

للطلاب من الناحية الدينية والأخلاقية لأن التعليم الآخر يمكن الحصول عليه في مدارس أخرى، وقام مولوى اسحاق بتأسيس لجنة تعليمية في أعظم كَرطَه لهذا الغرض وعندما توفي عاد شبلى إلى أعظم كَرطَه واهتم بهذه المدرسة وأمر ببناء عدة قاعات للدرس، وبعد وفاة شبلى في نوفمبر ١٩١٤م استمر تطوير هذه المدرسة بجهود مرزا مصطفى بيك والشيخ محمد ابن خال شبلى فعادت إلى سابق ازدهارها وتحولت إلى مدرسة عليا وساهم ابن شبلى حامد النعماني في بنائها وتطويرها وفي عام ١٩٤٠م تحولت إلى «شبلى كالج» بجهود مديرها مولوى بشير أحمد الصديقي وصارت لهذه الكلية مبان منفصلة وهيئة تدريس مناسبة وفي ٣١ مارس ١٩٤٠م انعقدت جلسة لوضع حجر أساس «شبلى كالج» ووضعه مولانا حبيب الرحمن خان شرواني وافتتحت الكلية في يوليو من نفس العام وكان التعليم بها حتى مرحلة الليسانس.

مدرسة الإصلاح سراى مير :-

سراى مير قرية قديمة مشهورة تقع بين أعظم كَرطَه وشاه كنج وبها قبر و خانقاه الصوفى المعروف مير على عاشقان الذى كان يعيش أيام شيرشاه وهمايون واستوطنها أناس من الشيعة الأثرياء وفي عام ١٩٠٦م أسس علماء القرية ومحبو العلم من الإقطاعيين جمعية إصلاح المسلمين «انجمن إصلاح المسلمين» فكانوا يعقدون جلسة عامة كل شهر يخطبون فيها ويدعون إلى التمسك بالدين الصحيح وترك البدع ونبذ الخلافات وكان علماء الهند المشهورون يحضرون هذه الجلسات من آن لآخر مثل : مولانا عبدالحق حقانى الدهلوى ومولانا ثناء الله أمر تسرى وفي هذه الأثناء تبادر إلى ذهنهم إنشاء مدرسة إسلامية وفي عام ١٩٠٩م تم افتتاحها. وعلى الرغم من أن شبلى لم يشارك فيها منذ البداية إلا أنه وافق على الإشراف عليها وعقد لها جلسة كبيرة فى عام ١٩١٠م. شارك فيها مولانا عبید الله ستهى من ديوبند وكان هذا أول لقاء بينه وبين شبلى، وكان شبلى فى تلك الأيام مهتما بالرد على حملات «آريا سماج» وارتداد المسلمين الهنود عن دينهم بسبب هذا الحزب المتعصب وكانت هذه المدرسة بموقعها الريفى مناسبة تماما لطموحات شبلى فى نشر الإسلام والحفاظ عليه وفى ١٩١٣م ركز شبلى اهتمامه على هذه المدرسة بعد أن ترك دار العلوم ولم يغفل عنها حتى فى أثناء إقامته فى حيدرآباد وفى هذا الوقت كلف مولوى حميد الدين بأمر هذه المدرسة،

وبعد^(١) وفاة أخية مولوى اسحاق عاد شبلى إلى أعظم كره واهتم بها وأسند إدارتها إلى تلميذه مسعود على الندوى إلى جانب إدارته لدار المصنفين وكان شبلى يريد أن يكونا نواة لجامعة إسلامية أخرى.

دار المصنفين :-

خطرت فكرة «دار المصنفين» على ذهن شبلى لأول مرة عندما كان يؤسس مكتبة ندوة العلماء ودون هذه الفكرة فى التقرير الذى قدمه إلى جلسة ندوة العلماء المنعقدة فى دهلى عام ١٩١٠م فقال: «بما أن الاحتياجات القومية والدينية تحتم ضرورة وجود مدرسة قومية وكلية قومية وجامعة قومية كذلك لا بد من مكتبة قومية كبرى للحفاظ على تراث وعلوم وتاريخ المسلمين وجميع الكتب الهامة والنادرة فيها وخاصة كنوز الفنون والعلوم التى برع فيها المسلمون بشكل خاص ويتوفر فيها الكتب لكل قارئ ولا بد أن يكون لها وقف عام حتى يمكن أن يستفيد منها جميع مسلمى الهند وخاصة المؤلفين منهم، ويتم تكوين هيئة تأليف تكون مهمتهم قراءة وتأليف الكتب فقط مثل الأكاديميات فى أوربا إن حياة «الفاروق» أعظم حياة وسيرة دينية باللغة الأردية لكنكم لا تعلمون أن هذا الكتاب بصفحاته الخمسمائة قد ألف بعد البحث فى جميع مكتبات تركيا والشام ومصر والهند وهذه الفرصة لا تتأتى لكل مؤلف لذا فإن وجود مكتبة قومية أمر حيوى وضرورى لكى يستفيد منها المؤلفون والكتاب». وعندما ترك شبلى الندوة فى عام ١٩١٣م قويت هذه الفكرة لديه حتى اختمرت تدريجيا وفى عام ١٩١٤م قام شبلى بإشاعة هذا الاقتراح بشكل عام عن طريق مجلة «الهمال» فى كلكتا وترجم هذا الاقتراح إلى الإنجليزية، ثم بدأ يتشاور مع مولانا أبى الكلام آزاد ليبقى عدد من الطلاب مع شبلى لكى يتعلمون منه الفنون الخاصة بعلم المكتبات والتصنيف وكتب إلى سيد سليمان الندوى يحثه على هذه الفكرة وقرر شبلى أن تكون «دار المصنفين» فى أعظم كَرطه حيث استقر شبلى وبدأ فى تنفيذ مشروعاته التعليمية وأوقف لها منزله وحديقته الخاصة وكتب وثيقة بالوقف بعد أن أخذ موافقة أسرته عليها.

وأنشأ شبلى مكتبة تحت إدارة مولوى حميد الدين الفراهى واشترى منزلاً قريباً ليكون مقراً لإقامة الطلبة الذين يعدهم للعمل بدار المصنفين، ثم قام بإعداد اللوائح

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٦٨٣ - ٦٨٦ .

الخاصة بالتحاق الطلاب^(١).

وهكذا تطورت دار المصنفين وأصبح لها دور طليعى فى الحياة الشفافية فى الهند وأصبحت مركزاً إشعاعياً كبيراً وصدر عنها العديد من الكتب فى مختلف فروع العلم والمعرفة وقامت بنشر جميع مؤلفات شبلى.

(١) المرجع السابق : ٦٩٠ - ٦٩٨ .

- رام بابو سكسينة : تاريخ ادب اردو : ٤٧٢ - ٤٧٣ .

ثانياً : جهوده الاجتماعية

قام شبلى النعمانى بجهود اجتماعية عظيمة وقد ساهمت هذه الجهود سواء كانت دينية أو قومية أو سياسية فى تطوير المجتمع الهندى بصفة عامة ومجتمع المسلمين بصفة خاصة ويصعب على المرء إحصاء هذه الجهود الجبارة وفيما يلى نستعرض أهم هذه الاعمال :-

• أعماله الدينية والقومية :-

الوقف على الأوالاد ١٩٠٨ - ١٩١٢ م.

الإسلام يجيز الوقف عليه أو على الأصدقاء أو الأوالاد، وعندما وقعت الهند فى قبضة الاستعمار الإنجليزى وتولت المحاكم الإنجليزية الفصل فى القضايا التى كانت ترفض هذا النوع من القضايا ولا تحكم به طبقاً للشريعة الإسلامية بل تتحكم فيها طبقاً للقانون الإنجليزى ونتيجة لهذا كانت ممتلكات المسلمين التى يوقفونها لأعمال الخير وتربية النشء تضيع من أيديهم بمرور الوقت .

وفى عام ١٨٩٥ م قام رئيس القضاة مولوى سيد امير على عندما كان قاضياً فى المحكمة العليا بكلكتا بإثارة هذه القضية فى المحاكم الإنجليزية وجمع كل الأدلة والبراهين لنجاح هذه القضية ورغم ذلك قضت المحكمة بعدم جواز «الوقف على الأوالاد» لعدم كفاية الأدلة، ثم قام المسلمون بعد ذلك بمحاولات لتصحيح هذا الحكم الخطأ، وفى عام ١٩٠٥ م قام مولوى سيد امير على بكتابة موضوع مفصل فى هذه المسألة فى المجلة الإنجليزية الشهيرة «ناتين تيته سينجرى» أى القرن التاسع عشر لكنها كانت محاولات بلا فائدة وباءت بالفشل ولم يصل صداها للحكومة^(١).

وفى عام ١٩٠٨ م بدأ شبلى يهتم بهذه القضية الاجتماعية الخطيرة ووضع أمامه عدة تساؤلات هى :-

(١) هل هذه المسألة فى الحقيقة مسألة دينية مسلم بها لدى المسلمين أولاً؟

(٢) إذا كانت مسألة دينية فلماذا لانبه الحكومة بها .

(١) سيد سليمان الندوى : حيات شبلى : ٥٣٨ .

(٣) هل يستطيع برلمان الحكومة البت فيها أولاً؟

ولما كان الأمر الأول لا يحتمل الشك لذا قام شبلى بكتابة الرسائل لمشاهير القانونيين وأعيان المسلمين وزعمائهم للاهتمام بالأمرين الثانى والثالث فكتب إلى سيد على إمام رئيس الرابطة الإسلامية ومولوى مظهر الحق المحامى ببتنه والسير محمد شفيح المحامى بلاهور وسيد أمير حسن خان بكلكتا ومولوى حامد على خان المحامى بلكناو ونواب وقار الملك بعلى كَرطَه وغيرهم وجاءته ردودهم فى فبراير ومارس ١٩٠٨م وتم الاتفاق على تأسيس «جمعية الوقف على الأولاد» وأبدوا جميعاً الاستعداد لتنفيذ هذا الاقتراح وكان أهم إجراء فى هذا الموضوع أن يتم إقناع الحكومة بأنها مسألة دينية هامة وكانت الجلسة العامة لوضع حجر أساس دار العلوم منعقدة فى لكناو فى نوفمبر ١٩٠٨م فقدم لها هذا الموضوع على هيئة اقتراح فوافقوا عليه جميعاً واتفقوا على أن يستفتوا جميع علماء الهند فى هذه المسألة ثم تبدأ الإجراءات وتم الإعلان على ذلك فى خطاب مفتوح من الندوة فى ٢٤ ديسمبر ١٩٠٨م هو:-

(١) يتم تأليف رسالة باللغة الأردية مفصلة ومحققة تستند إلى كتب الفقه المعروفة لإثبات أن مسألة الوقف على الأولاد مسألة إسلامية.

(٢) يوقع علماء الهند على هذه الرسالة وترجم إلى اللغة الإنجليزية.

(٣) نقض قرار المحاكم العليا فى الهند ومجلس القوانين الإنجليزي الخاص بعدم جواز الوقف على الأولاد بالأدلة لإثبات خطئهم.

(٤) إعداد مذكرة فى هذا الموضوع توضح أن مسألة الوقف على الأولاد مسألة إسلامية ويجب على مجلس القوانين الإنجليزي إصلاح الخطأ الخاص بها.

(٥) تقوم جميع الجمعيات والهيئات الإسلامية والمسلمون بالتوقيع على هذه المذكرة وإرسالها للحكومة^(١).

وتحتمس المسلمون لهذا الأمر وشاركوا فى الرأى والمشورة وجمع التبرعات وإعداد الرسالة وترجمتها إلى اللغة الإنجليزية وانهاالت الفتاوى فى هذا الأمر وأولها فتوى مولانا فضل حق رامپورى المدرس الأول بالمدرسة العالية برامپور. وفى ١٩٠٩م قرر شبلى القيام بإجراء عملى حيث طلب من العلماء وكبار القوم قبول عضوية مجلس الوقف وفى مايو

(١) شبلى : مقالات شبلى : ١٦/٨ - ٢٥.

١٩١٠م ظهرت مسودة مشروع قانونى وطلبت الحكومة من المقننين وأهل الرأى الاشتراك فى إعدادة ولكنه لم يحقق الغرض وفى يوليو ١٩١١م شارك شبلى فى لجنة لإصلاح القوانين واجتمع هذا الوفد فى أوائل عام ١٩١٢م وتحقق ما طالب به شبلى ووافقت الحكومة على قانون «الوقف على الأولاد» وتكلمت جهود شبلى طوال أربعة أعوام بالنجاح وحقق المسلمين إنجازا اجتماعيا ضخما حيث أنقذ آلاف الأسر من الضياع.

* مطالبة شبلى الحكومة بإجازة للمسلمين يوم الجمعة (١٩١٢م) :-

كان الطلاب والمدرسون والموظفون المسلمون لا تسنح لهم الفرصة لأداء فريضة صلاة الجمعة لأن أوقات العمل فى الإدارات والهيئات الحكومية والمدارس الإنجليزية كانت من الساعة العاشرة حتى الرابعة بعد الظهر ولهذا فإن هذه الفريضة كانت تضيع على المسلمين رغما عنهم، ولهذا عندما نجح شبلى فى مسألة «الوقف على الأولاد»، تشجع وبدأ يهتم بهذا الموضوع وقدم طلبا به للحكومة الإنجليزية، وقد تقدم أولا بطلب يتعلق بهذه المسألة إلى الجلسة السنوية للندوة التى عقدت فى لكتناو فى عام ١٩١٢م فوافقوا عليها وبناءً على هذا أعد مذكرة بالبراهين والأدلة على أن المسلمين لهم الحق فى هذا الطلب وهى :-

(١) من أهم مميزات الحكومة الإنجليزية أنها منحت الحرية الدينية لجميع الأديان لكى يؤدوا شعائرهم الدينية باطمئنان.

(٢) صلاة الجمعة فريضة لازمة على كل مسلم إلا من له عذر وقد ورد حكم وجوب صلاة الجمعة فى القرآن الكريم.

(٣) يجب أن يكون هذا اليوم عطلة فى جميع الإمارات والممالك الإسلامية.

(٤) يكون هذا اليوم عطلة أيضا فى الإمارات الهندوسية بالرغم من أن الموظفين المسلمين بها أعدادهم قليلة نسبية.

(٥) يتضاعف التعليم فى السنوات القادمة وسوف ينتج عن ذلك زيادة فى عدد الموظفين الحكوميين من المسلمين لذا فإن هذه المسألة تزداد أهميتها يوما بعد يوم^(١).

ووضع شبلى هذا الموضوع تحت رعايته وطلب من جميع المسلمين أن يوقعوا عليه وأعلن أنه إن لم تنشر هذه القضية على نطاق واسع فى الصحف مثل «الوقف على

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٢٩ - ٣١.

الأولاد، فإنه لن يُبت فيها وفي مارس ١٩١٣م وافقت الحكومة فى البنغال على إجازة لمدة ساعتين لصلاة الجمعة وبعدها طلب شبلى من الحكومة أن تعطى الاعمال الحكومية يوم الجمعة لمدة نصف يوم من الساعة الواحدة بدلا من العطلة لمدة ساعتين وكان شبلى يستند فى رأيه إلى سبب منطقى فقد رأى أن الموظفين المسلمين عندما يتعطلون لمدة ساعتين يوم الجمعة بينما يعمل غيرهم من الموظفين من الأديان الأخرى سيؤدى هذا فى المستقبل إلى أن هؤلاء الموظفين سوف يتقدمون ويترقون فى أعمالهم أسرع من المسلمين كما أن أصحاب الوظائف سوف يفضلون الموظفين غير المسلمين وبهذا تظهر التفرقة بينهما وعندما تعطى الحكومة العمل لمدة نصف يوم يوم الجمعة سيكون له أثر فى حين أننا نرى أن عطلة كثير من الحاكم والإدارات نصف يوم يوم السبت لا داعى لها. ونتيجة هذا العمل صار بإمكان الموظفين المسلمين أن يأخذوا إجازة لمدة نصف ساعة للصلاة وبهذا أحيا شبلى هذه الفريضة وحفظها من الضياع.

* نشر الإسلام ١٩١٣م :-

عندما دخل المسلمون الهند أسلم مئات الآلاف من الراجبوت والزط والميوات والقوميات الهندوسية ومنذ أن أسلموا حتى عام ١٩٠٨م وقد أصبحوا فيما بين الإسلام والهندوسية فاسماؤهم إسلامية لكنهم يطبقون عادات الهندوس وبعضهم تسمى بأسماء هندوسية وينتشرون بالملايين من حدود الراجبوتانا إلى دهلى حتى أكرا وقد وقع هؤلاء المسلمون صيدا ثمينا للمبشرين الآريين الهندوس لتحويلهم إلى الهندوسية مرة أخرى وقد فشا هذا السر عام ١٩٠٨م فشارت نائرة المسلمين فى جميع الهند وبدءوا محاولات إنقاذهم والدفاع عنهم من كل مكان واستعد شبلى لدفع هذه الفتنة فورا على الرغم من مرضه وكتب فى ١٣ أبريل ١٩٠٨م كتب موضوعا بعنوان «نو مسلم راجبوت اور حفاظت إسلام» قال فيه: «إن السبب الحقيقى لارتدادهم عن الإسلام هو جهلهم بأمور دينهم نتيجة خلوا التعليم الجديد من التعليم الدينى فنشعوا جاهلين بالعقائد الإسلامية والفقہ والاحكام والتاريخ الإسلامى ولهذا وقعوا فى شباك التبشير، وأنا لا أطلب بإيقاف التعليم الجديد بل يجب أن ينشر فى كل مكان وفى نفس الوقت نجمع جهودنا للمحافظة على الدين بإنشاء المدارس الدينية فى كل مكان لتدريس العلوم الدينية بوعى كامل لتخريج مثقفين كاملين» (١).

(١) شبلى : مقالات شبلى : ٧/٨ - ١٢.

ومع أن نشر الإسلام كان ضمن الندوة منذ نشأتها إلا أنها لم تكن قد وجهت إنتباههما لهذا العمل حتى ذلك الوقت فكانت هذه المسألة كالحجر الذى حرك ركود الندوة وجاء شبلى وكون مجلسا عموميا لنشر الإسلام ليقوم بإرسال مندوبين ووعاظ فى مختلف المدن والقرى وقام هذا المجلس بجمع وتوحيد القوى المتفرقة وكتب شبلى مقالا فى الندوة عن «نشر الإسلام» دعا الطلاب فيه إلى الدعوة والإرشاد ونبههم إلى هذه الفتنة. (١)

* الأوقاف الإسلامية ١٩١٤م :-

أصبحت الأوقاف الإسلامية فى الهند فى حالة يرثى لها بعد حكم الإنجليز وكان قلب شبلى يرتجف حزنا على تخريب وتخطيم الأوقاف الإسلامية فقد كانت مكدسة بلا فائدة رغم حاجة المسلمين الماسة لها ولهذا وجه شبلى اهتمامه بدعوة الحكومة للاهتمام بالأوقاف وردت الحكومة عليهم بضرورة أن تكون هذه رغبة المسلمين جميعا وأن تنفق فى مكانها الصحيح ووافق شبلى والرابطة الإسلامية وباقى الجمعيات الإسلامية الأخرى وفى يناير ١٩١٤م نشر شبلى خطابا عاما قدم فيه عدة مقترحات هى :-

(١) تكوين لجنة مصغرة تُعد الخطط والتدابير بعد اقتراح خطة عمل محددة وصریحة وطرحها أمام المسلمين ثم العمل بها.

(٢) إعداد مذكرة تطالب الحكومة بتنظيم الأوقاف يوقع عليها المسلمون على اختلاف طبقاتهم وطوائفهم.

(٣) تقوم الحكومة بمراقبة الأوقاف دون التدخل فى الشؤون الدينية عن طريق تكوين لجنة ينتخب أعضاؤها بالتناوب من جميع الأقاليم وتتم جميع الأعمال الخاصة بالانتخابات من قبل المسلمين وتعترف بها الحكومة وتمنحها سلطات قانونية ويتم العمل طبقا لها.

(٤) نطالب الحكومة بإعادة وظيفة «صدر الصدور» وهو موظف خاص لإدارة جميع الأوقاف أيام التيموريين ودون تدخل من الحكومة (٢)

(١) شبلى : مقالات شبلى : ١/٨ - ٢.

(٢) المرجع السابق : ٢٦/٨ - ٢٨.

لقد كان من اقتراح شبلى فى هذا الصدد فى يناير ١٩١٤ م وفى فبراير ١٩١٤ م نشرت الحكومة مذكرة خاصة بالوقاف وأرادت عقد مؤتمر لبحث هذه المسألة لكن شبلى توفى فى هذه السنة بينما لم يمت هذا الاقتراح بل إن الحكومة نفسها والجمعيات ومجالس الشورى دوامت عليه وأقيمت لجان للتحقيق فى هذه المسألة وعن طريق توصياتها قامت لجنة لمراقبة الأوقاف وكان لاقتراح شبلى صدى بعيد المدى حيث توالى الاقتراحات والمطالبات بوظيفة «شيخ الإسلام» و«الإمارة الشرعية» وغيرها.

جُهود شبلى وآراؤه السياسية

مع ان شبلى لم يكتب فى الموضوعات السياسية مباشرة إلا انه ظل متيميا بها واخذت الامور المتعلقة بالنواحي السياسية مساحة كبيرة من كتاباته عن الإسلام والحضارة الإسلامية والتاريخ والعلوم والفنون الإسلامية، وكان يحب الحكومة الإسلامية بالفطرة وظل يصورها فى كتبه ويعرض لها، وكان شبلى يفضل التعاون مع الهندوس -سياسيا- عن التعاون مع الإنجليز وكان فى نفس الوقت من أشد انصار السياسة الإسلامية.

ومنذ ان وضع شبلى أقدامه فى على كَر ط ه تبلورت آراؤه السياسية الفطرية بحرية كبيرة يقول فى إحدى خطاباته التى نشرت فى مجلة «معارف كَر ط ه»: «لقد بقيت دائماً مستقل الراى حر التفكير حيث بقيت فى صحبة السير سيد ستة عشر عاما كنت مختلفا معه دائماً فى الآراء والقضايا السياسية وتباحثت معه مرارا وكنت من انصار حزب «المؤتمر». وفى عام ١٨٩٢ عقدت جلسة فى على كَر ط ه لبحث موضوع الحكومة الجمهورية والشخصية وألقى شبلى خطبة أيد فيها الحكومة الجمهورية بينما دافع السير سيد عن الحكومة الملكية وبالرغم من كل هذا فإن آراء شبلى السياسية لم تتعد حتى الآن البحث فى الندوات والمجالس فكان يمتدح حزب المؤتمر ويندب حظ المسلمين بسبب تخبطهم السياسى فقط ١١ وكان يتابع ما يكتب فى صحيفة «هندوستانى» التى كان يصدرها جنجا برشاددر ما زعيم حزب المؤتمر فى لكناو، وعندما تم إلغاء قوانين تقسيم البنغال فى سبتمبر ١٩١١م كتب شبلى موضوعا ثوريا دعا فيه إلى التغيير وهو «مسلمانون كى بوليتكل كرو طب» أى (التغيير السياسى للمسلمين) أكد فيه أهمية إصدار الصحف الحرة لإحداث تغيير سياسى مستقل بالمسلمين وكانت صحيفة «زميندار» تصدر فى لاهور وصحيفة «همدرد» تصدر فى دهلى و«الهلال» فى كلكتا بينما الولايات المتحدة التى كانت فى الاصل المركز الحضارى والسياسى للمسلمين كانت تفتقد هذا النوع من الصحف ولهذا أراد أن يكمل هذا النقص فقام بالتعاون مع سيد ميرجان بإصدار جريدة «مسلم كزت» عام ١٩١٢ وأشرف شبلى على الموضوعات التى كانت تكتب فيها وأثر أن يسند إدارة تحرير الصحيفة إلى وحيد الدين سليم. (١) وسوف نستعرض فيما يلى أهم آراء شبلى وجهوده السياسية وانعكاساتها على مجتمع المسلمين:-

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦١٠-٦١١.

* تأييده للأتراك وسياسة الدول الإسلامية :-

كان شبلى من أشد المؤيدين لتركيا لأنها كانت الدولة الإسلامية الوحيدة فى ذلك الوقت الذى تتجلى فيه بوضوح صورة الدولة الإسلامية وقد امتلأ قلبه بحب الأتراك منذ شبابه فعندما وقعت الحرب بين تركيا وروسيا عام ١٨٧٦م كانت الهند كلها بل العالم الإسلامى كله بجانب الأتراك فى هذه الحرب حيث قام المسلمون فى الهند بجمع التبرعات لمساعدة الأتراك وشارك شبلى بدور بارز فى هذا العمل حيث جمع آلاف الروبيات من بلده أعظم كَرطه وأرسلها إلى سفير تركيا فى بومباى ليرسلها بدوره إلى القسطنطينية وسافر تركيا وقلبه يمتلىء حبا وإعجابا بالأتراك وتراءت له بدر وحنين فى كوكبة الأتراك وقال فيهم :-

—تازكى بدر وحنين از تو هست زيب و طراز حرمين از تو هست (١)

وكان مجرد ذكر اسم الأتراك فى ذلك الوقت جريمة لاتغتفر من وجهة النظر السياسية للحكومة الإنجليزية، وقد ارتكب شبلى هذا الجرم، ومع أن الجانب العلمى والتعليمى كان نصب عينيه فى ترتيبه « سفرنامه » وزيارته لتركيا إلا أنه لم يتغاض عن النواحي السياسية تماما فمن يرجع إلى « سفرنامه » يجد شبلى تطرق إلى موضوعات عديدة باطنها السياسة مثل الشناء على السلطان عبد الحميد وأبطال تركيا ورجالها المحاربين ووصف الموكب السلطانى بأبهته التى أعادت إلى أذهان المسلمين صورة مماثلة لعظمة سلاطين المسلمين فى الهند . ونتيجة الهمز واللمز هذا بدأت شكوك الإنجليزية تضرب بشباكها حوله واتهموه بأنه سفير السلطان العثمانى فى الهند وأنه قد تم « تجنيده » من قبله للترويج لفكرة الجامعة الإسلامية وكانت هذه الفكرة رائجة فى حينها، وكان الوسام المجيدى الذى تلقاه شبلى من سلطان تركيا تأكيد لهذه الشكوك والتهم ودسواله العسس الذين تمكنوا من سرقة الوسام، وقام حاكم كانپور باستدعاء مولوى عبد الرازق كانپورى وزجره ووبخه لأنه تجرأ وكتب تعليقا فى الصحف على كتاب شبلى « سفرنامه » .

والحقيقة أن شكوك الإنجليزية هذه فيما يتعلق بشبلى كانت صحيحة إلى حد كبير وقد كان شبلى يؤكد ذلك من آن لآخر عن طريق إبداء رأيه فى القضايا السياسية التى كانت تعن بين الحين والحين . فعندما ظهرت مسألة أرمينيا عام ١٨٩٥ - ١٨٩٦م قام الأوربيون بنشر حقائق كاذبة عن هذه المسألة فى صحفهم وتحيزوا فيها بالطبع إلى جانب سكان أرمينيا المسيحيين وكانوا دعايا فى الدولة العثمانية حتى صار الأتراك مهتمين فى عيون

(١) المرجع السابق: ٥٨٨ . (إن نضارة بدر وحنين منك، وجمال الحرمين وطرزها بسببك)

الناس وجارتهم الصحف الهندية فى هذه المزايم ولم يتحمل شبلى هذه الحملات الظالمة على الأتراك فكتب موضوعا قويا فى ٢١ فبراير ١٨٩٦م ونشره فى صحيفة «آزادا خبار» ولكنا وكشف الحقيقة للناس وكان موظفا فى كلية على كَرط هـ آنذاك^(١). وعندما نشبت الحرب بين تركيا واليونان عام ١٨٩٧م أبدى شبلى رأيه صراحة وأيد الأتراك وكان فى ذلك الوقت يعمل فى كلية على كَرط هـ ورأيه هذا كان متعارضاً مع وجهة نظر السير سيد وقد ترك شبلى الكلية بعد ذلك نتيجة هذا النوع من الصراع السياسى .

وفى عام ١٩٠٨ قام أنور بك وأعدوانه بتأسيس جماعة «الدستوريين» فسعد شبلى بهذا ومدح شباب تركيا المشهورين كما مدح أعضاء جمعية الأتحاد والترقى كما مدح السلطان عبد الحميد فى هذا الاتجاه لأنه أحدث ثورة مباركة دون إراقة قطرة دماء وفى ذلك الوقت أصدر عبد العزيز جاويش فى تركيا صحيفة باسم «العرب» وأرسلها إلى شبلى فكان يقروءها مرارا فى جلساته وكتب شبلى خطابا لآخيه مهدى فى ٢٨ أغسطس ١٩٠٨م يبشره فيه بما يحدث فى تركيا من ديمقراطية أرساها السلطان عبد الحميد ويقول: «إن منبع سياسته كانت نشر تعاليم الإسلام وليس الحرب مع أوروبا» ثم قال: «لقد ظل السلطان عبد الحميد يتلاعب بأوراق السياسة الأوروبية لمدة خمسة وثلاثين عاما». وعندما هجمت إيطاليا فجأة على طرابلس الغرب بليبيا عام ١٩١١م ثارت ثائرتة وأضمرت نيران الغيرة فى صدره فكان يتلمس أخبار ليبيا من الصحف المصرية التى كانت تصل إليه وأخذ يقص قصص بطولات وتضحيات أبطال تركيا مثل: أنور بك وعزيز بك وغيرهم من الشباب التركى الذى خاطر بنفسه وحمل السلاح ووصل إلى طرابلس متخفيا رغم إغلاق الطرق. وكان قد عم الغضب الهادر والثورة جميع أنحاء العالم الإسلامى ضد أوروبا وحربها فى طرابلس وظهرت فى الهند أمواج من الحماس الإسلامى نتيجة هذه الحرب وتم الصلح بين تركيا وإيطاليا لمنح الحكم الذاتى لطرابلس ورفع الشيخ السنوسى وغيره من المناضلين علم التحرير. ولم تكن مشكلة طرابلس قد انتهت بعد حتى أعلنت الدول الأوروبية الواقعة فى البلقان الحرب على تركيا وتحرك المسلمون فى الهند تأييدا لتركيا وقام شبلى بنظم قصيدة «شهر آشوب اسلام»^(٢) أبكى بها جميع المسلمين فى الهند . يقول مطلعها :-

-حكومت برزوال آيا توپهر نام ونشان كبتك جراج كشته محفل سى أنهى كادھوان كبتك.^(٣)

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١٨٥/٨ - ١٨٨.

(٢) الترجمة الكاملة لهذه القصيدة سبق ذكرها فى الباب الأول ضمن «شعر شبلى».

(٣) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٥٨٩ - ٥٩٣.

وكان عيد الاضحى قد اقبل فى ذلك الوقت فاقترح شبلى أن يقوم مسلمو الهند بدفع أموال الاضاحى هذا العام فى صندوق لصالح الأتراك لان هذا هو مجال التضحية وفكر فى هذه المسألة من الناحية الفقهية فلم يجد ما يمنع ذلك ورجع فى هذه المسألة إلى المفتى عبد الله تونكى ومولانا عبد البارى فرنج محلى فأيدوا فتواه فقام على أثر ذلك بنشر هذا الاقتراح فى الصحف وجمع آلاف الروبيات وأرسلها إلى تركيا.

* اضطرابات مسجد كانپور :

كانت مشكلة البلقان لا تزال قائمة وفى أوج اشتعالها عندما وقع حادث مسجد كانپور وكان من أكبر الحوادث التى أشعلت الحماس القومى والدينى لدى مسلمى الهند حيث أوغرت هذه الحادثة قلوب المسلمين بكراهية الإنجليز وحاكم الولايات المتحدة آنذاك جيمس ستن لطريقته فى إدارة الأحداث حيث كان مسجد كانپور يقع على قارعة الطريق فأرادت البلدية أن تشق طريقا جديدا وكان أحد أجزاء المسجد والخاص بالوضوء يعترض سير هذا الطريق فقامت البلدية الإنجليزية بهدم هذا الجزء بالقوه على غير رغبة المسلمين مع أنهم تفادوا معبدا هند وكيا بالقرب منه فأشعل هذا الحادث حماس المسلمين وقام مولانا عبد القادر آزاد سبحانى المدرس الاول بالمدرسة الإسلامية بكانپور بعقد جلسة صاخبة فى ٣١ أغسطس ١٩١٤م وقرر المسلمون بعدها أن يتوجهوا إلى المسجد ليقيموا الجدار الذى تهدم ولما رأى بتلر مساعد حاكم الإقليم هذا العمل عين جماعة من الشيخ لحراسة المسجد وأمرهم بالهجوم على المسلمين فقاموا بإطلاق الرصاص عليهم دون تردد فقتل من قتل وجرح من جرح وذاع خبر هذه المذبحة فى جميع أنحاء الهند فهب المسلمون فى كل مكان للدفاع عن مسلمى كانپور بالخطب والمقالات وجمع التبرعات وإقامة الدعاوى فى المحاكم وكانت حادثة مسجد كانپور حلقة فى سلسلة جهود مسلمى الهند فى سبيل الحرية . وكان شبلى فى بومباى آنذاك فقام بنظم قصائد مؤثرة ساهمت بنصيب كبير فى حث المسلمين على نجدة إخوتهم فى كانپور فهب الجميع لمساعدتهم ومد يد العون لهم وعلى رأسهم مولانا أبو الكلام آزاد والهامى الشهير مظهر الحق فساعدوا المظلومين وجمعوا الأموال لأسر الشهداء ونظم شبلى أشعارا حماسية نشرت فى مجلة «الهلال» بكلكتا و«همرد» بدلهلى و«زميندار» بلاهور وعمت أمواج الغضب والحماس طول الهند وعرضها وطالب المسلمون ببناء المسجد مرة أخرى ومعاقبة بتلر وإطلاق سراح السجناء ودفع الدية للمقتولين وفى النهاية نجحت

خطة المصالحة عندما جاء اللورد هاردنج بنفسه إلى كانبور^(١) وتم الفصل فى هذه المسألة بين السير سيد على إمام نائباً عن الحكومة الإنجليزية ومولانا عبد البارى الفرنج محلى على أن يتم بناء الجزء الخاص بالوضوء فى أعلى ويمر الطريق من أسفل ووافق الجميع وتم إطلاق سراح المسجونين.

* صحيفة «مسلم كزت» والنهضة السياسية للمسلمين:

فى عام ١٩١٢ م قام شبلى بالاشتراك مع سيد ميرجان باصدار صحيفة للمسلمين الاحرار لنشر الوعى السياسى بينهم وتولى شبلى الإشراف على الموضوعات التى تُنشر وصدرت الصحيفة باسم «مسلم كزت» فى لكتناو عام ١٩١٢ وآثر شبلى أن يسند إدارة تحرير الصحيفة إلى وحيد الدين سليم لخبرته فى هذا المجال حيث كان من قبل رئيس تحرير مجلة «على كزت ط هانستيتوت كزت» ونجحت صحيفة مسلم كزت كصحيفة حرة وظلت تصدر لمدة عامين وكان شبلى ينشر مقالاته باسمه أحيانا وبدون اسمه أحيانا أخرى ولاقت الجريدة قبولا كبيرا من القراء وظنوا أنها جريدة خاصة بشبلى^(٢). على كل حال فقد استمر الهدف السياسى الذى أسست من أجله الصحيفة يتطور ويتنامى طبقا لاقترحات شبلى وتوجيهاته وكان هناك فى ذلك الوقت عدة قضايا سياسية هامة مثل تقسيم البنغال وحرب البلقان والمطالبة بإنشاء جامعة إسلامية ومشكلة مسجد كانبور وإصلاح الرابطة الإسلامية ومحاولة نشر الوعى السياسى الصحيح بين المسلمين وقد تناول شبلى هذه القضايا فى قصائده ومقالاته التى كانت تنشر فى الصحيفة وفى ذلك الوقت كتب شبلى موضوعا سياسيا بعنوان «مسلمانون كى بوليتيكل كروت» أى التغيير السياسى عند المسلمين ونشر فى أربعة أعداد وكان لهذا الموضوع تأثير قوى فى تغيير سياسية المسلمين. وقد نشرت صحيفة «مسلم كزت» العدد الأول منه فى ١٢ فبراير ١٩١٢م، وفى هذه المقالات يطرح شبلى أفكاره السياسية ورؤيته بوضوح فى موضوع القومية الهندية ووضع المسلمين وقد اخترنا هذا الموضوع ليبرهن على أفكاره^(٣) السياسية بالرغم من أنه لم يكن سياسيا من الطراز الأول، فقد طرح آراءه الخاصة بالرابطة الإسلامية «مسلم ليگ» وحزب المؤتمر «كانكرس» دون انتظار النتائج وحذر من محاولات السير سيد أحمد خان لإبعاد المسلمين عن السياسة. وقد تحدث شبلى عن

(١) سيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٠٢ - ٦٠٨.

(٢) المرجع السابق: ٦١٣.

(٣) شبلى: مقالات شبلى: ١٤٨/٨ - ١٤٩.

الوضع السياسى العام فى الهند والحالة السياسية التى ينتهجها الزعماء المسلمون دون موارنة موضحا الخط السياسى الانسب الذى يجب أن يسيروا عليه - رغم أنه لم يكن واضحا فى عرض أفكاره ولم يقدم الحل الجذرى لهذه المسألة المعقدة، فهو من أنصار حزب المؤتمر وفى نفس الوقت مهتما بأمر الرابطة الإسلامية ويحاول إصلاحها ليكون لها وزن سياسى أمام حزب المؤتمر

١ - المقالة الأولى :

فى بداية هذه المقالة ذكر شبلى أن تقسيم البنغال جاء ليمثل صفقة على وجه سياسة المسلمين وناقش رأى «نامه نكار» القائل بأنه «يجب على المسلمين أن يتحدوا مع الهندوس ليكون لهم مكانة قوية بعد ضعف إيران وتركيا»^(١). وأيد شبلى هذا الرأى وقال إن الاتحاد مع الهندوس أمر عظيم وسيظل هذا الأمر أفضل الخيارات المطروحة ثم انتقد رأى وقار الملك الذى ذكر فيه أن «اشتراكتنا - أى مسلمى الهند - فى حزب المؤتمر سوف يُعرض وجودنا للفناء كما يفنى النهر فى البحر عند اللقاء به»^(٢). فقال شبلى إن الاقلية البارسية (المجوسية) استطاعت المحافظة على وجودها وكيانها وسط الاغلبية الهندوسية والإسلامية ولم يمنعهم ذلك من أن يكون «نوروزجى» أول عضو فى البرلمان فى جميع أنحاء الهند، كما كان «كوكهلى» أول من أسس حركة «خطة الإصلاح» بمفرده وعلى هذا لا يجب أن نفكر فى زوال كيان خمسين مليون مسلم (هم تعداد مسلمى الهند آنذاك).

وفى محاولة لبعث الوعى السياسى عند المسلمين يقول شبلى: «لقد حان وقت الاستيقاظ من النوم السياسى ويجب علينا أن نفكر بطريقة صائبة فى أن الشئ الذى نَعول عليه ونعتبره سياسة هو فى حد ذاته إهانة للسياسة، بل إن كعبتنا السياسية ما هى إلا معبدا للأصنام وأن السياسة صارت كلمة يلقونها فى آذاننا عندما نولد مثل كلمة الشهادة وهى «أن الوقت لم يحن الآن» و«لا يجب الاهتمام الآن بالسياسة» و«الاهتمام بالتعليم فقط» لأن «عددنا قليل»^(٣).

وواضح من هذه الكلمات أن شبلى ينتقد سياسة السير سيد أحمد خان وسياسة

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١٤٨/٨.

(٢) المرجع السابق: ١٤٩/٨.

(٣) شبلى: مقالات شبلى: ١٤٩/٨ - ١٥٠.

المؤتمر التعليمى الإسلامى، ويرى أن هذه الكلمات قد سرت فى دماء المسلمين وفى أفكارهم منذ الولادة حتى تمكنت منهم فأصبحوا يخافون من ترديد اسم «السياسة»، ونتيجة لذلك ضعف حماسهم وتضحياتهم وشجاعتهم، وفى نفس الوقت لم نفذ بما يقوم به الهندوس من تقدم فى هذا المجال فلم نتقدم ولم يظهر بين المسلمين مثال واحد للتضحية حتى الآن.

ثم يطرح شبلى عدة تساؤلات فيقول: «ما طموحنا؟ وما هو منتهى أملنا؟ هل هو فى التعليم والوظيفة؟ وهل بهذا المطمح يمكن أن يتولد فىنا أى نوع من المشاعر القوية؟ وهل يمكن لنا تحمل الصعاب من أجل هذا الأمر؟ إن العيب الفادح من جراء هذا الهدف الخامل هو انتشار الجبن وفتور الهمة، إن الحرية الشرعية فى قاموسنا السياسى هى الثورة والتمرد، فشتان بين المجوسى أو الهندى الذى يذهب إلى حزب المؤتمر وينتقد الاجراءات والترتيبات ومع ذلك يبقى عضوا فى البرلمان ومجلس نائب الملكة، وبين المسلم الذى يذهب للمشاركة فى جلسات المؤتمر التعليمى «ايجوكيشنل كانفرنسى» فيكون خائفا مضطربا رغم أن السير سيد أحمد خان أعلن فى صحيفة «على كرت» أن الاشتراك فى المؤتمر الإسلامى ليس ممنوعا ومن المعلوم لدينا أن كثيرا من أعيان القوم يأخذون تصريحاً من حاكم الإقليم كشرط لعضوية الرابطة الإسلامية، وعندما سألنا عن سبب هذه المفارقة أخبرنا زعمائنا بهذا الفرق الدقيق وهو أن الهندوس كالبعوض، لهذا لا تهتم الحكومة بطنينهم بينما المسلمون أسود الآجام تهتز من زئيرهم الغابة!! لقد انكشف الخداع وانتهى زمن الغفلة، لقد نشأ الإحساس بين المسلمين ولم يبق سوى تحديده وربما يكون منهج عمل للحياة الجديدة»^(١).

٢ - المقالة الثانية :

استهل شبلى هذه المقالة بتحديد الافكار التى سيناقشها وهى «الخطة السياسية السليمة، وأخطاء المسلمين السياسية الراهنة، واتحاد المسلمين والهندوس.

وقبل الخوض فى التفاصيل حدد شبلى ماهية السياسة ذاتها فذكر أن المسلمين لهم صفتان، الأولى أنهم رعايا الحكومة البريطانية، والثانية كونهم مسلمين. وذكر أن الحكومة الإنجليزية مع أنها تبدو ظاهريا حكومة فردية والحكم فيها مقصور على أسرة ملكية واحدة قانونها هو ما يقوله الملك حيث ما يريد يستطيع أن يفعله وليس للرعايا

(١) المرجع السابق: ٨/ ١٥٠ - ١٥١ .

أى حق فى أى نوع من التدخل، إلا أن « البرلمان » و« مجلس اللوردات » هو الذى يتحكم فى ترتيبات الحكومة، أى أن الحكومة الإنجليزية فى الأصل حكومة برلمانية دستورية يحق للرعايا المشاركة فى ترتيبات الحكومة .

وتحدث شبلى عن النظام السياسى فى إنجلترا ثم خرج بنتيجة مؤداها ضرورة اشتراك المسلمين والهندوس فى الترتيبات السياسية للحكومة وتساءل شبلى قائلاً: ألم تنجب أرض الهند مقننين عظام أمثال تودر مل وأبى الفضل وعضد الملك؟ وهل عقلت هذه الأرض عن إنجاب أمثالهم الآن؟! فمن ينكر الآن جهود هؤلاء الرواد الذين أعطتهم الحكومة مسئوليات كبيرة أمثال: سيد محمود، وبدر الدين طيب ومولوى أمير على وكانوا من أعظم القضاة ولا شك فى أن نوروزجى كان عضواً برلمانياً ناجحاً، كما كان سيد على إمام ظاهراً على أقرانه، لذا يجب أن يساهم أهل الهند فى الحكم .

لقد انتشرت الجهود المخلصة فى جميع أنحاء الهند ومن المستحيل أن يبقى المسلمون بمنأى عنها، فليس من المعقول أن يظل المسلمون فى بومباى بعيداً عن التعليم وهى التى أنجبت بدر الدين طيب الذى قبل مخاطر رئاسة حزب المؤتمر إلى جانب ظهور قادة آخرين مثل: رحمت الله سيانى وفى « مدراس » ظهر سيد محمد وفى كلكتا أمير على وقد مارسوا السياسة دون خوف، ومن تلك الأحداث يتضح أن كل ذرات تراب الهند تتلالا بنور السياسة، إلا أنه من الأمور المثيرة للدهشة أن المناطق الغربية والشمالية من الهند و« آكرا » و« دهلى » والبنجاب التى ظلت فى فترة من الفترات مركزاً للحكومة وروح الهند وعقلها، حيث إن أكثرية المسلمين بها متعلمون ويقطنها أعرق الأسر العربية والأعجمية ورغم ذلك تذكر فيها السياسة على استحياء ويتلعثم اللسان بنطقها، إن من الصعب فهم هذه الحالة الغربية لأنها ليست حالة طبيعية بل أفرزتها عوائق قوية منها رسالة « أسباب بغاوت هند » أى أسباب الثورة الهندية (للسير سيد أحمد خان) وهنا إشارة واضحة إلى دور السير سيد أحمد خان فى منع المسلمين من العمل بالسياسة . ويقول شبلى لماذا يتم منع جميع المسلمين من السياسة؟ وما أسباب ذلك؟ وإن الإجابة على هذه الأسئلة اليوم غير ضرورية بل مضرة^(١) .

ويستمر شبلى فى نقده لافكار السير سيد أحمد خان فيقول: « مع ذلك يجب أن ننظر إلى نصائح القائد المشهور وكانت بمثابة الشريعة أو القانون الأبدى لحياتنا

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١٥١/٨ - ١٥٥ .

السياسية، إن البرقية التي أرسلها السيد بوك BOKE إلى إنجلترا لهى الدليل الثابت على خطبة السير سيد السياسية المفرضة والتي كان لب فحواها: لو تم تعيين أعضاء المجلس بالانتخاب فلن يكون عدد المسلمين بأى حال من الأحوال مساويا لعدد الهندوس لأن عدد الهندوس فى الهند ضعف عدد المسلمين، ولو تم اعتماد الطريقة الانتخابية فسوف يكون هناك عضو مسلم واحد مقابل أربعة أعضاء هندوس، ولو افترضنا صعوبة وضع أى قاعدة يتم عن طريقها المساواة بين أعضاء القومين المسلمين والهندوس. فسوف لا يظهر مسلم واحد فى الحالة الراهنة يكون جديرا بالعمل قبالة الهندوسى فى مجلس نائب الملكة^(١). نعم هذه الفكرة كانت ولا تزال فى موضعها لكن من الخطر بمكان أن تطبق هذه القاعدة على خطة الإصلاح ويقبل جميع المسلمين تعديلها لأنه بالنظر إلى تعداد السكان فإن المسلمين يصبحون أقلية وسوف يبقون كذلك ولو نجح هذا التعديل الذى لم يأمر به السير سيد فى الحقيقة فإن جميع مسلمى الهند سيصبحون سعداء ولو أن المشاركة فى حزب المؤتمر بالنسبة لهم عمل سئى لأنهم يريدون النظام الانتخابى ولا يمكن للمسلمين بأى شكل الموافقة على هذه القواعد الانتخابية ستكون على كل حالة مقبولة الآن.

وينفذ شبلى تقرير السير سيد أحمد خان بقوله: «إن القول بعدم كفاءة أى مسلم فى الحالة الراهنة لعضوية مجلس نائب الملكة يصدق تماما على مدرسة على كَرُّه كك، لكن ألم يكن بدر الدين طيب وأمير على ورحمت الله سيانى جديرين للقيام بهذا العمل فى ذلك الوقت هل كان سيد على إمام وسيد حسن إمام ومظهر الحق أقل من منافسيهم الهندوس؟ ليت السير سيد أحمد خان حيا الآن ليرى العديد من المسلمين الذين يسافرون إلى كلكتا وشملة ويقيمون بها أسابيع ويتحملون جميع النفقات للمشاركة فى الجلسات السنوية»^(٢).

وقد فند شبلى مخاوف وقار الملك ورأى السير سيد أحمد خان حتى اضطر أخيرا أن يعلن فى الصحف أن العمل بالسياسة ليس ممنوعا. وانتقد شبلى نظرية «دوقومون» أى وجود قوميتين أحدهما للمسلمين والأخرى للهندوس التى نادى بها السير سيد أحمد خان الذى عارض دخول المسلمين فى حزب المؤتمر الهندى لأنه لو تم تطبيق أهداف

(١) المرجع السابق: ١٥٦/٨.

(٢) المرجع السابق: ١٥٦/٨ - ١٥٧.

المؤتمر في الهند فإن كراسى الحكومة ستكون من نصيب القوميات المنحطة ويصبح أشراف القوم في أدنى درجات السلم الاجتماعى .

إننا الآن تغاضينا عن الجانب الجوهري من البحث، فالسير سيد أحمد خان يعارض حزب المؤتمر فى حين أن « المؤتمر » و« السياسة » لم يكونا كلمتين مترادفتين، فللسياسة مدارس متعددة، ففى إنجلترا يوجد لبراليون وراديكاليون ومحافظون وكلها جميعا أحزاب سياسة، وحزب المؤتمر مدرسة سياسية خاصة ونحن نسلم بأن المدرسة السياسية الخاصة لا تفيدنا، إذن السؤال هو هل يجب علينا المشاركة المطلقة فى السياسة أولا؟ أو بمعنى آخر هل لنا بعض الحقوق على الحكومة أولا؟ وهل لنا الحق فى إدارة الحكم أيضا أولا؟ ولو كان لنا الحق أنطالب به أولا؟ .

إن السير سيد أحمد خان يبدى آراءه المتحررة فى مختلف المناسبات للمطالبة بالحقوق فى الناحية التعليمية والمدنية، فلماذا لا تتعدى هذا الأمر أى المطالبة بالحقوق السياسية . إنه عندما أسس اللورد لتن LATINE الجامعة الشرقية (مشرقى يونيورستى) فى البنجاب وهى جامعة أهلية لتدريس اللغات المحلية اعتقد السير سيد أن الهدف من إنشاء هذه الجامعة هو التقليل من شأن التعليم الانجليزى وانتقد خطة اللورد لتن فى مجلة « تهذيب الأخلاق »^(١) .

على كل حال فإن السير سيد يعترض على حزب المؤتمر ويعتبر المشاركة فيه عارا! إذن يجب علينا أن نقف على أقدامنا ونعتمد على أنفسنا ويجب أن نحدد خطنا السياسى بحيث نعرف أين تكمن مصلحتنا هل بمشاركة الهندوس أو بالانفصال عنهم؟ وعندئذ يتحتم علينا أن يكون لنا منبر سياسى منفصل وعندما نصل إلى هذا الإنجاز فإننا نرى أمامنا شيئا ظاهريا وهو « الرابطة الإسلامية » فماذا يكون هذا الشيء العجيب؟ هل هو سياسة - لا قدر الله - ضد المؤتمر؟ لا، هل هو مجلس للوردات؟ لا، بل هو مسرحية هزلية .

٣ - المقالة الثالثة :

بعد نقد شبلى لخطط السير سيد أحمد خان الخاصة بالسياسة يقول: إن سياستنا الحالية لو كانت سياسة حقيقية فيجب أن نستفيد من خبرة الثلاثين عاما الماضية فى

(١) شبلى : مقالات شبلى: ١٥٨/٨ - ١٦٠ .

توسيع القاعدة السياسية ومشاركة الافراد ونظر المنظمات فى جميع أنحاء الهند واختيار القادة الصالحين لهذه المهمة الشاقة حتى لا يتزلزل كيان المسلمين السياسى ويسقط اعتبارهم وهيبتهم، فالشخص الذى يمضى لمدة عامين فقط سكرتيرا للرابطة الإسلامية يصبح مهانا فى نظر الناس وتتغير لهجة الصحف القومية عند الحديث عنه، وينتقد شبلى منهج الرابطة فى المطالبة بالإصلاحات المدنية لأنها فى واد بعيد كل البعد عن مطالب الهندوس حتى إن الانجليز اقترحوا على الرابطة تقرب وجهات النظر بينهم وبين الهندوس وتقديم خطة مشتركة واحدة .

إن الجميع يعترضون علينا لاننا ننقد الرابطة لكنهم أنفسهم لم يخبرونا ما السياسة الصحيحة فجرائم السياسة بين عقول المسلمين عاقتهم عن الممارسة السياسية الحقيقية، وإن أفدح الأخطاء التى يقع فيها المسلمون هو تقديم شىء فرضى عديم الفائدة اسمه «الرابطة الإسلامية» على أنه هو السياسة .

ويتطرق شبلى بعد ذلك إلى القول بأن أهم الإصلاحات السياسية هو الاعتراف بأن الرابطة الإسلامية لن تكون الآن ولا بعد ألف عام هى البديل السياسى، فكيف قامت؟ ومتى تأسست؟ ومن أقامها؟ وهل كان ظهورها - على حد قول السير سيد أحمد خان- وحيا أوحى به إليه !!

إننا نتساءل هل تتطابق قوانين الرابطة الإسلامية مع السياسة؟ وهل يوجد بها رموز سياسية؟ وهل تستطيع الرابطة القيام بأى دور سياسى؟

وهل قدمت الرابطة عملا جديرا؟ إن الهدف الذى تأسست الرابطة من أجله هو تحديد نصيب المسلمين فى الحقوق الوطنية التى نالها الهنود بعد جهد استمر ثلاثين عاما وطالب شبلى بضرورة إقامة فروع للرابطة الإسلامية «مسلم ليك» فى جميع المراكز والاقاليم، ثم قارن شبلى بين قرارات المؤتمر الوطنى «كانكريس» و«الرابطة الإسلامية» «مسلم ليك» فقال: فيما يلى بعض القرارات التى نادى بها المؤتمر:

١ - تعيين عدد كاف من النواب الهنود فى اللجنة الملكية التى تقوم بالأعمال الحكومية .

٢ - إلغاء المجلس الهندى .

٣ - إقامة امتحان الخدمة المدنية فى الهند كذلك .

٤ - توسيع وإصلاح مجالس شورى القوانين.

٥ - تقليص النفقات العسكرية.

٦ - إعداد متطوعين هنود.

٧ - تنظيم التعليم الصناعى.

٨ - الاهتمام بالإدارة.

٩ - إصلاح البوليس.

١٠ - منع التوسع فى إدارة الرى.

١١ - زيادة النفقات التعليمية.

١٢ - نقل قضايا المتحفظ عليهم إلى المحكمة العليا.

١٣ - الفصل بين سلطات الإدارة والعدل^(١).

فلو تم تلبية هذه الطلبات لتغيرت الحياة فى الهند. وعلينا أن نلاحظ مطالب الرابطة الإسلامية ونقارنها بهذه المطالب:

١ - يجب زيادة نصيب المسلمين فى الوظائف الحكومية.

٢ - التوسع فى قواعد تمثيل المسلمين فى البلدية واللجان.

٣ - تبدى الرابطة أسفها وخوفها بسبب محاولات تفويض دعائم اللغة الأردية.

٤ - مراعاة حقوق الهنود فى مدينة ترانسوال بجنوب أفريقيا.

٥ - تجرى التحقيقات فى الاوقاف الإسلامية.

٦ - تقبل مسألة الوقف على الاولاد^(٢).

واقترح شبلى نظاما سياسيا قويا لخصه فى النقاط التالية:

١ - يجب أن تقوم الرابطة بتوسيع دائرة أهدافها أولا ثم تضع نصب عينها تلك الأشياء

التي يتوقف عليها مستقبل حيث يقضى على تسلط الإقطاعيين وجشع المرابين

ويزيد عدد الموظفين الحاليين من المسلمين.

(١) شبلى: مقالات شبلى: ١٥٢ - ١٥١/٨.

(٢) المرجع السابق: ١٦٥/٨ - ١٦٦.

٢ - إن مشاركة الهنود فى جميع الأعمال التنظيمية من الأمور الهامة التى يجب العمل بها.

٣ - ينبغى العمل باقتراح مولوى أمير على الخاص بإقامة لجان مشتركة بين المسلمين والهندوس فى الموضوعات المشتركة بينهما ويكون لهما أعضاء بالتساوى.

٤ - يجب أن تخلو اللجنة التنظيمية للرابطة من كبار الإقطاعيين والأثرياء وتقتصر المشاركة فيها على هؤلاء الناس الذين يبدوون آراءهم بحرية فى سبيل الحق.

٥ - نشر الوعي بالسياسة القومية بين الناس عن طريق النشرات والمقالات والخطب وتعيين علماء السياسة لإلقاء محاضرات فيها على الناس.

٦ - تعيين موظفين أو أعضاء فخرين لجمع المعلومات عن أى مسألة خاصة وإعداد المذكرات التى يمكن أن تستفيد منها الحكومة^(١).

وفى نهاية هذه المقترحات بحث مسألة الاتحاد بين المسلمين والهندوس، وقال إن هذا الاتحاد كان قائما بينهما أيام المغول ومن الممكن أن يتم الآن كذلك.

* إصلاح الرابطة الإسلامية «مسلم ليك» :

أحدثت مقالات شبلى ثورة فى أفكار المسلمين وأحسن القائمون على الرابطة الإسلامية على أثرها بضرورة إصلاحها وتطويرها، وقام بعض قادة القوم بإبلاغ شبلى بأن نظام الرابطة سوف يتغير فى الجلسة السنوية فى ١٩١٢م إلا أن مسألة اتحاد المصالح بين المسلمين والهندوس لم يتم. وانعقدت الجلسة السنوية للرابطة فى عام ١٩١٢م وجعلت الرابطة «الحكم الناتى» هدفها فقام شبلى بمعارضة هذا المسلك بنظم أشعار ساخرة جميلة فى الرابطة والقائمين عليها وأثبتت الأحداث بعد ذلك صحة ما قاله وكانت لكتابات شبلى - إلى جانب أسباب أخرى - نصيب كبير فى إحداث تغييرات فى الرابطة آنذاك. يقول مولوى سيد طفيل أحمد : «لقد استأثر الذين تلقوا التعليم الحديث بنصيب الأسد فى الأعمال السياسية غالبا إلا أنه من العجيب كذلك أن الذين تلقوا تعليمهم طبقا للنظام القديم قد كان لهم دور بارز فى سياسة الهند وعلى رأسهم شبلى النعمانى الذى سنحت له الفرصة فاستخدم قلمه فى تغيير وجهة نظر الرابطة

(١) المرجع السابق : ١٧١ - ١٧٣.

(٢) سيد طفيل أحمد : مسلمانون كاروشن مستقبل - ط ٢ : ٣٧٤ - ٣٧٩.

الإسلامية، كما كان مولانا أبو الكلام آزاد من المتحمسين لسياسة شبلى وظل مشاركاً له في الرأي^(٢).

* اتحاد الرابطة والمؤتمر :

لم تضع جهود شبلى سدى وعلى حد قوله فقد أيقظت صفعات الزمن المسلمين وبدأت جماعة الأحرار « حریت بسند » يتزايدون يوماً بعد يوم مثل: أبى الكلام ومحمد على جناح^(١) وشوكت على وظفر على خان وحسرت موهانى والدكتور محمود والدكتور الأنصارى وغيرهم من شباب الأحرار وبجانبيهم شيوخ محنكون مثل: حكيم أجمل خان ونواب اسحق خان وسيد حسن بلجرامى وراجا محمد على خان والى محمود آباد وغيرهم من الزعماء المجريين وأخذت خطوات هؤلاء الشباب تزداد رسوخاً وتزعم أحرار الرابطة مظهر الحق المحامى ببتنة ومحمد على جناح فى بومباى وصدقت نبوءة شبلى وآراءه التى تطرقت إليها فيما مر بنا وبدأت الصلات والروابط بين الرابطة والمؤتمر وبعد وفاة شبلى بعام واحد انعقدت الجلسة السنوية للرابطة فى بومباى فى ديسمبر ١٩١٥م تحت رئاسة مظهر الحق ومساعدته محمد على جناح كما عقد المؤتمر جلسة له هناك فى نفس الوقف والتقى زعماء المؤتمر والرابطة وبدأ يظهر نوع من الاتحاد فى الأفكار وتم إعداد خطة عمل مشتركة بين الرابطة والمؤتمر وشارك زعماء الرابطة فى جلسات المؤتمر كما حضر قادة المؤتمر جلسات الرابطة وعلى رأسهم المهاتماغاندى والكاهن مالوى جى والسيدة سروجنى سرايس بى سنها رئيسة المؤتمر والسيدة اينى بسنت وهارنى من وغيرهم . وفى ديسمبر ١٩١٦م عُقدت جلسة سياسية مشتركة فى لكتاوا رأسها محمد على جناح بوصفه رئيساً للرابطة وأخذ هذا الاتحاد ينمو ويزداد قوة يوماً بعد يوم، فكانوا يعقدون جلسة مشتركة كل شهر يشارك فيها زعماء الجبهتين ويصدران بياناً مشتركاً موقعا منهما . وقال محمد على جناح فى خطبته الرئاسية لجلسة لكتاوا: «إن أكبر الآمال المعقودة على التجديد القومى هى أن يدوم هذا الاتحاد من أجل الأهداف المشتركة للرابطة والمؤتمر ومن حسن الحظ أن تعقد الجلسة الأولى للمؤتمر والرابطة فى بومبا وقد ظهرت ملامح هذا الاتحاد بعد قطع مراحل شاقة للغاية والآن تعقد جلسة أخرى لهما فى لكتاوا معقل الرابطة ومهد الأدب والحضارة الإسلامية»^(٢).

(١) كلمة «جناح» التى عرف بها محمد على هى ليست جزءاً من اسمه بل صفة محرفة عن كلمة «جينا» وتعنى الهزيل فى اللغة الكجراتية .

(٢) سيد اختر حسين: مسلم ليك كى تاريخ: ١٣٧ وسيد سليمان الندوى: حيات شبلى: ٦٢٥ - ٦٢٧ .

وكما لاحظنا آنفا من تتبع جهود شبلى السياسية أنها لم تتعد فى الغالب عن مطالبته الحكومة الإنجليزية ببعض الإصلاحات وبالرغم من ذلك لم تنس الحكومة الإنجليزية أن شبلى معارض لها وبمرور الأيام بدأت الحكومة الإنجليزية تثق فيه ففى ١٩٠٨م قام العقيد عبد المجيد خان وزير خارجية إمارة بتيالة - وكان من أكبر أصدقاء الإنجليز - بجهود الوساطة لتنقية الأجواء بين الحكومة وشبلى قام شبلى على أثرها بكتابة موضوع بعنوان «مسلمانون كى غير مذهب حكومت كامحكوم هو كر كيونكرر هنا چاهي؟» كيف يمكن للمسلمين البقاء تحت حكم حكومة تدين بدين آخر « أثبت فيه أن المسلمين كانوا دائما أوفياء للحكام الذين يحكمونهم .

* علاقات شبلى بالعالم الإسلامى

كانت دائرة علاقات شبلى واسعة ومتشعبة، فلم تكن قاصرة على علاقاته داخل حدود شبه القارة الهندية بل تعدت هذه العلاقات إلى العالم الإسلامى ووطنه الكبير الذى كان يحلم به ويعيش فى تكفيره ووجدانه من خلال قراءاته عنه فى الكتب والمجلات أولاً ثم من خلال مشاهداته له فى رحلته إلى مصر وتركيا وبلاد الشام . وفى الصفحات التالية سوف نتناول وصف شبلى النعمانى لبلدان العالم التى مر بها فى رحلته وسنعول فيما نكتب هنا على كتابه «سفرنامه» وما ذكره شبلى فى مذكراته عن هذه البلدان هذا من جانب ومن جانب آخر لقاءه برجال الفكر والدين والسياسة وطرحه أهم القضايا التى تهمة آنذاك .

لقد كان الهدف من هذه الرحلة - كما ذكر شبلى مرارا - أن يطلع شبلى على الثروة الأدبية والعلمية التى تزرخ بها مكتبات العالم الإسلامى وخاصة مكتبات القسطنطينية والقاهرة وبيروت لأن مكتبات على كرتط هـ وأعظم كرتط هـ وحيدر آباد لم تطفئ ظمأه العلمى ولم ترض طموحاته الأدبية . وقد طرات على شبلى فكرة السفر هذه عندما التقى مصادفة بالبروفيسر توماس آرنولد الذى كان يعد العدة للسفر إلى إنجلترا فأراد أن يسافر معه فأبدى آرنولد سعادته بهذه الفكرة ووعده بان يذلل له كل الصعاب لإنجاز الأوراق اللازمة للسفر وأخذ شبلى إجازة ثلاثة أشهر إلى جانب إجازة الكلية وكانت ثلاثة أشهر أخرى وتوجه شبلى بصحبة آرنولد إلى بومباى حيث ركبا السفينة فى اليوم الثانى لوصولهما أى يوم ٢٨ أبريل ١٨٩٢م وتحركت بهم السفينة فى الساعة الثانية عشرة . ووصلت السفينة بهم ميناء عدن فى ٧ مايو ١٨٩٢ فكان هذا الميناء أول أرض عربية

إسلامية تقع عليها عين شبلى فى هذه الرحلة وهناك رأى شبلى مشهدا عجيبا تألم له قلبه يقول: «رأيت كثيرا من أطفال» «السمايين» (*) يركبون الزوارق ثم يقتربون من السفن ويأتون بحركات عجيبة فيغنى بعضهم ويرقص البعض الآخر لكى يأخذوا الهدايا والنقود من المسافرين الذين يقذفون لهم الأموال فى البحر فيغطسون ويخرجونها وكان كثير من الإنجليز ينشغلون بهذه المتعة وقد تمتع آرنولد كثيرا، بينما اضطرب شبلى وتأثر كثيرا وقال أيقون هذا حال العرب الذين فتحوا العالم فيكسيون عيشهم بالتمثيل أمام الأعداء هكذا!! وصاح تلقائيا «قم يا عمر» لكنه اطمأن عندما علم أن السمايين ليسوا عربا» (١).

ووصلت السفينة إلى السويس فى ١٣ مايو وعندما علم الباعة الجائلون «أن شبلى هندی بدءوا يتكلمون معه باللغة الأردية واندش شبلى لذلك وزاد عجبه عندما علم أنهم لم يسافروا إلى الهند قط» (٢).

وفى ١٤ مايو وصلت سفينته إلى «ميناء بورسعيد وعندما داست أقدامه الساحل أخذ ينظر إلى كل شىء بشوق وضعف فقد كانت أول مدينة - بعد الحرمين الشريفين - من مدن العالم الإسلامى تلامسها أقدامه، وفى بورسعيد انفصل عن آرنولد فسافر إلى إنجلترا وركب شبلى السفينة المتجهة إلى القسطنطينية» وفى السفينة رأى شبلى حالة المسافرين المسلمين وعرب الشام وترحم على حالهم ووصلت «السفينة يافا فى ١٥ مايو وبيروت فى ١٦ مايو وبالرغم من أن الوقت كان ضيقا إلا أنه لم يستسغ أن يغادرها دون أن يتجول فيها فقام بجولة تفقد فيها معالم المدينة. وفى ١٧ مايو وصلت السفينة إلى قبرص فدخل أولاً المسجد الجامع فوجده متصلا بمدرسة إسلامية فدخلها فوجد أحد العلماء فآكرمه وأشار إلى أحد الأولاد فقرا ما تيسر من آى القرآن فتأثر شبلى «وتعجب من أن يصل تأثرى القرآن من صحراء الحجاز إلى بحر الروم فى هذه الجزيرة النائية» (٣).

وفى ١٨ مايو وصلت بهم السفينة إلى رودس وتوقفت بها عدة ساعات وكان شبلى يرغب فى التجول بها وصادف ذلك أنهم كانوا فى الليل فحرم من النزهة فى هذه البقعة من الأرض التى وطئها الإسلام.

(*) السمايين جماعة من البحارة الفقراء من أصول آسيوية وأفريقية وكانوا يحترفون هذه المهنة ويعيشون عليها.

(١) شبلى: سفرنامه: ١٣ - ١٤.

(٢) المرجع السابق: ١٦.

(٣) المرجع السابق: ٢٤.

✽ تركيا :

ثم وصلت السفينة إلى إزمير فى صباح يوم ٢٠ مايو وظلت السفينة راسية بهم لمدة يومين فتجول بها وقد قدم شبلى وصفا مختصرا ومفيدا لكل ميناء من الموانى التى مر بها من عدن حتى وصوله القسطنطينية حاول فيه التركيز على النواحي التاريخية والعمرانية وتاريخ دخول الإسلام فيها وحالة المسلمين آنذاك .

ثم رحل شبلى من إزمير فى ٢١ مايو ووصل إلى القسطنطينية فى يوم ٢ مايو واستقل قاربا إلى الشاطئ وفيه التقى بالشيخ عبد الفتاح وكان هذا اللقاء الطارئ بداية لتذليل كلى العقبات التى صادفته فى تركيا حيث أقاما معا فى بيت واحد . « وكان الشيخ عبد الفتاح من مشايخ أسرة شامية لها علاقات طيبة مع علماء الهند وسافر خالد النقشبندى المعروف بخالد الرومى إلى الهند وكان مريدا للشيخ غلام على وأخذ الطريقة النقشبندية^(١) »

(١) الطريقة النقشبندية: مؤسسها بهاء نقشبند البخارى (٧١٧هـ - ٧٩١هـ) وقد انتشرت هذه الطريقة فى العديد من البلاد الإسلامية وبصفة خاصة فى آسيا ويلقب بهاء الحق والدين وهو شيخ يعقوب الجرخى وتلميذ محمد باستيماس وقد ألف فيه رسالة مشهورة تسمى بالرسالة البهائية تشتمل على مقاماته ومناقبه أعدها الشيخ أبو القاسم محمد بن سعود البخارى من كبار تلاميذ خواجه محمد بارسا .
(على بن الحسين الكاشفى: رشحاح عين الحياة ورقه ٤ ب و ١١٥ و ١١٤ مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٥١٠ فارسى).

واسمه الذى يعنى النقاش يفسر كرسم الصور للعلوم المذهبية او بطريقة أكثر عمقا الوصول إلى الصيغة المثلى لسلامة القلب . واللقب الذى أطلقه عليه الشاه هو الزعيم الروحى، ونسبته وكنيته تدل على أن طريقته تمثل طريقة أويس القرنى . وقد جمع أعماله صلاح بن المبارك تحت اسم مقامات سيدنا الشيخ نقشبند التى مثلت المادة الخاصة بمؤلف رشحاح عين الحياة (٨٩٣ - ١٤٨٨) والتى منها استمدت تأملات النقشبندى نفسه والتى ترجمت من الفارسية إلى العربية والتى قدمت فى عمل حديث تحت اسم «الحديقة الوردية فى الحقيقة النقشبندية» من تأليف عبد المجيد بن محمد القانى (القاهرة ١٣٠٦م).

وقد ولد فى قرية تبعد مسافة فرسخ عن بخارى تسمى «كوجك هندوان» وسميت بعد ذلك «كوجك عرفان» . وفى سن الثامنة عشر أرسل إلى «سماس» وهى قرية تبعد ثلاثة أميال عن بخارى ليتعلم التصوف من محمد بابا السماسى الذى يتلو الأذكار بصوت عال ولهذا فضل النقشبندى علاء الدولة عبد الحاق الجود جد اوانى الذى توفى عام ٥٧٥ هـ الذى كان يتلوها بنفسه وقد أدى هذا الأمر إلى عدم ارتياح بينه وبين أتباع السماسى والذى بالرغم من هذا الخلاف اعترف تماما بأن النقشبندى على حق وأشار إلى النقشبندى خليفة له وهو على فراش الموت .

وبعد وفاته ذهب النقشبندى إلى سمرقند ومنها إلى بخارى حيث تزوج ثم عاد إلى مسقط رأسه ومنها توجه إلى «نسف» حيث أكمل دراساته تحت مسمى خليفة السماسى وبعد ذلك عاش لمدة طويلة فى عدة قرى بالقرب من بخارى وقد جمعت سيرته من أماكن مختلفة وأناس متعددين . وفى حيرت قدم الأمير =

من الهند ونشرها بين أهله في الشام وتركيا»^(١) وقد تعرف شبلى على كثير من علماء الشام وتركيا مثل الشيخ على ظبيان وغيره عن طريق الشيخ عبد الفتاح.

ثم قدم شبلى وصفا لمشاهدته في القسطنطينية بدأه كعادته بمقدمة تاريخية فلم يكن شبلى المغرم بالتاريخ يترك حدثا كهذا إلا ويعمل فيه قلم المؤرخ فذكر أن «قسطنطين الأعظم بناها عام ٤٧٦م وظلت عاصمة لقيصرية الروم حتى فتحها محمد الفاتح وجعلها عاصمة لدولته»^(٢)

وظل شبلى مقيما في القسطنطينية ثلاثة أشهر لم يدع فيها مكان إلا وزاره وقدم صورة متكاملة لهذه المدينة العظيمة في نهاية القرن الماضي (١٨٦٢م) تعد من أزهى الصور التي وصف بها الرحالة مدينة إسلامية فذكر في البداية النظام المعماري هناك والقصور والمباني الهامة والشوارع والمقاهى والأندية والمدارس والكليات والمكتبات والمطابع والصحف والمساجد والمتاحف والجمعيات والقصور والمباني الملكية والإدارات والمحاكم بل والمناخ والفواكه وقدم وصفا اجتماعيا مسهبا ودقيقا للحياة الاجتماعية للأتراك.

وقد أسهب شبلى في وصف المدارس والمكتبات ووصف الحركة العلمية وتطور التعليم في تركيا لأنه هو السبب الاصلى لهذه الرحلة الطويلة فلو كان لى هدف آخر من هذا السفر الطويل غير التجول في المكتبات لكان هو تقدير مدى ما وصل إليه التعليم ومناهجه من تطور ورقى»^(٣) وقد اثنى شبلى على الزى الخاص بالطلاب وطرق معيشتهم.

وعندما نقرأ «سفرنامه» نستطيع أن نقدر مقدار الكنوز العلمية التي رآها شبلى حيث يقول: «كنت أعتقد أن كتب اليونان ومصر التي تمت ترجمتها في العصر العباسي قد فقدت لكن عندما قدمت إلى هنا ثبت لى خطأ هذا الاعتقاد... حيث يوجد هنا

= حسين بن غياث الدين الغورى وليمه على شرفه وكان في صحبة هذا الأمير في سرخس وقد قام بثلاث زيارات إلى بغداد ونيسابور. وقد جمع محمد بن محمد الحافظي البخارى أقواله نزولا على رغبة علاء الدين عطار البخارى المتوفى ٨٠٢هـ.

(The Encyclopaedia of Islam. Vol: 3. Leyden. 1913 P. 841-842).

(١) شبلى: سفرنامه ٣٨٠.

(٢) المرجع السابق: ٤.

(٣) المرجع السابق: ٤٩.

كتب الائمة الاربعة وهى غير موجودة فى مكان آخر، كما أن الكتب النادرة للفارابى وفخر الرازى وابن سينا والغزالى والتي تعرف أسماءها فقط عن طريق ابن خلكان أغلبها موجود هنا^(١).

وقد أحضر شبلى معه الكتب التى وجد بها معلومات عن «الفاروق» حيث اقتبس منها المادة العلمية التى كانت قوام مؤلفه «الفاروق» وهى: طبقات ابن سعد، وسيرة العمرين لابن الجوزى وأنساب الأشراف للبلاذرى وأخبار القضاة لابن وكيع ومحاسن الوسائل إلى أخبار الأوائى للسيوطى وغيرها من الكتب التى أشار إليها شبلى وصرح بها فى الحاشية وفى مقدمة «الفاروق».

وزار شبلى المدارس والكليات الكبيرة والتقى بالاساتذة وحصل على التقارير السنوية للكليات التى كانت المراكز العلمية التى عقد عليها المسلمون آمالهم فى البلدان الإسلامية الأخرى وخاصة الهند، وكان شبلى حريصا على معرفة العلاقة بين القديم والحديث فى هذه الدولة التى يحكمها المسلمون لكن عندما وصل إلى هناك وجد أن هناك حدودا فاصلة بين نظامى التعليم القديم والحديث فتألم لذلك. وقد أبدى شبلى حزنه وعدم رضاه عن فساد التعليم القديم فى تركيا فقال: «مع أننى من أعماق قلبى أحبذ التعليم الحديث وأفضله إلا أننى من أشد المدافعين عن التعليم القديم وأعتقد أنه ضرورى جداً للحفاظ على قومية المسلمين»^(٢).

وقد التقى شبلى بالكتاب والمثقفين الأتراك واطلع على كنوز الأدب التركى الحديث وشاهد المجالات العلمية والصحف الكبرى هناك ورأى الشكل الخارجى لها والإخراج وجمال الطباعة وسعد بتنوع الموضوعات وسموها، وتعلم شبلى هناك اللغة التركية على يد الأستاذ «ملا محمد أفندى» فكان يستطيع قراءتها أمام أهلها ويفهمها بمساعدة الكلمات العربية. ومع أن شبلى قد أبدى سعادته برؤية المدارس والكليات الحديثة إلا أن الألم اعتصره عندما زار المدارس العربية وشاهد ما وصلت إليه من تأخر وفساد فى المناهج يقول: «إن المدارس العربية عندنا فى الهند تعد مغنما بالمقارنة بتلك المدارس، ولم يفسد على سعادتى فى هذه الرحلة إلا فساد هذا التعليم وضعفه... وإن عدد الطلاب الذين يدرسون العلوم العربية والدينية فى القسطنطينية لا يقل آنذاك عن عشرين ألف طالب

(١) المرجع السابق: ٩٤.

(٢) شبلى: سفرنامه: ٧٧.

يعيشون فى حجرات مظلمة وضيقة وغير صحية ووسيلة الدخل هى الزكاة والهبات وحالهم يرثى له (١).

على أن الشىء الذى شعر به شبلى جيدا فى سفره للقسطنطينية هو التفاوت بين البلاد الحاكمة والمحكومة والفرق بين الحرية والعبودية فهو من دول مستعمرة والمسلمون فى وطنه متخلفون ضعفاء خائرو القوى والهمم بينما هو الآن على أرض حرة فازداد لديه الإحساس بتدهور أحوال وطنه وكان ملاذه الوحيد قصص الجاه والجلال الإسلامى التى يقرؤها فكانت تهدى قليلا من روعه وتمنح روحه قليلاً من الزهو والفخار، وكان موكب خروج الملك عبد الحميد لصلاة الجمعة من المناظر التى اهتزت لها مشاعره فهو أمام صورة حية من التاريخ الإسلامى الزاهر الذى قرأ عنه وأسرف فى وصف دقائق هذا الموكب وربما كان شبلى يقصد من هذا إثارة الهمم وتحريك النفوس والقرائح التى ران عليها غبار العبودية والصغار. وهذا الوصف يعد صورة فنية رائعة (٢).

ووصف شبلى قصر السلطان الذى لا يستطيع أحد الدخول إليه ثم التقى به حسين حبيب أفندى السفير الترخى السابق فى بومباى وكان شبلى قد تعرف عليه فى الهند عندما كان يرسل التبرعات إلى القسطنطينية فى حرب روسيا وتركيا عن طريقه ووعده حسين أفندى أن يأخذ له الأذن للدخول القصر وأوفى بوعده وشاهد شبلى موكب السلطان والحاشية والأعيان والوزراء.

فى حرب روسيا وتركيا عام ١٨٧٧م تردد اسم البطل التركى عثمان باشا على لسان جميع مسلمى الهند، ولهذا عندما وصل شبلى إلى تركيا تاق للمقائه فالتقى به مرة ثم طلب عثمان باشا أن يلتقى مرة أخرى والتقى به بحفاوة وطلب من السلطان عبد الحميد أن يمنحه الوسام المجيدى «تمغه مجيدى» فوافق ولم يكن شبلى يعرف ذلك «وكننت أنام فى منزلى ذات يوم فجاءنى أحد الأصدقاء مهرولاً فقال لى: يا شبلى والله لقد طلع لك النيشان فتعجبت لذلك وقلت له كيف علمت قال: لقد نشرت جميع الصحف هذا الخبر» (٣). وفى اليوم التالى أعد له أصدقاؤه حفلة صغيرة لتكريمه وبعد ذلك ذهب إلى عثمان باشا فهناه بالوسام واستلمه شبلى ودعا للسلطان وأعطاه عثمان باشا صورة له

(١) شبلى: سفرنامه: ٧٧ - ٧٨.

(٢) المرجع السابق: ١١٢.

(٣) المرجع السابق: ١٣٩ - ١٤١.

وسلمه فرمان السلطان والوسام فى ١٤ محرم ١٣١٠ هـ وعندما رجع إلى الهند وأراد أن يستعمل هذا الوسام لم تسمح له الحكومة الإنجليزية طبقاً للقانون الصادر فى ٢ مايو ١٨٨٦ م.

* بيروت :

غادر شبلى القسطنطينية فى ٢٦ محرم ١٣٠٩ هـ متوجهاً إلى بيروت فوصلها فى اليوم السابع وأقام بها أسبوعاً، وكان السبب الاصلى لإقامته فى بيروت هو رؤية الشيخ طاهر الجزائرى، وهذا الشيخ من سكان شمال أفريقيا وكان يعيش غالباً فى مصر والشام وهو مكتبة حية ويحفظ أسماء المخطوطات والكتب النادرة فى المكتبات ويحتفظ بمذكرة يدون فيها نوادر كل مكتبة ومن مؤلفاته «توجيه النظر» وغيرها وكانت بيروت فى ذلك الوقت مركزاً للحركات العلمية والأدبية لعرب الشام المسيحيين ومقراً للمجالس والجمعيات العلمية وأقيم فيها أحدث المطابع العربية لطباعة ذخائر الأدب العربى ونشره كما تصدر بها عدة صحف ومجلات، وقد اطلع شبلى على هذه الصحف وشاهد الجمعيات والمؤسسات العلمية وكتب تفاصيلها كاملة فى كتابه «سفرنامه»^(١).

* بيت المقدس :

غادر شبلى بيروت إلى دمشق بناءً على إصرار والد صديقه الشيخ على ظبيان، ثم ذهب شبلى إلى بيت المقدس فى ٨ صفر ١٣١٠ هـ وأقام هناك فى الزاوية الهندية وزار الأماكن المقدسة والتقى بالمفتى سيد طاهر والعلماء والشيوخ الآخرين وتباحث معهم فى بعض المسائل الفقهية، ثم توجه إلى مصر واستقل القطار من الإسكندرية إلى القاهرة^(٢).

* زيارة شبلى لمصر والأزهر ولقاؤه برجال الفكر المصريين :

فى الفترة التى كان شبلى يعمل فيها فى كلية على كثره كانت المؤلفات العربية الحديثة تصل إلى الكلية تباعاً من مصر فيطلع عليها شبلى وكانت مصر آنذاك أحسن حالاً من الهند، فلم يكن الإنجليز يحكمونها حكماً كاملاً ولم يكن للإنجليز أى نفوذ على الأوساط العلمية هناك، كما أن حرية الصحافة فى مصر لم تظفر منها الهند بطرف وقد كانت هذه الصحف والمجلات تاتى إلى شبلى مباشرة من مصر، ولم يكن رجال

(١) شبلى: سفرنامه: ١٥٠ - ١٥٣.

(٢) المرجع السابق: ١٧١ - ١٧٩.

الدين فى الهند فى ذلك العصر يستطيعون قراءة الصحف والمجلات العربية وفهم موضوعاتها بسهولة لأنها كانت تستخدم كلمات حديثة لم يعرفوها من قبل، ولأنها كانت تكتب بلغة خاصة ما بين الفصحى والعامية ولهذا شق عليهم قراءتها، وكان شبلى النعمانى الوحيد بينهم الذى يقرأ هذه الصحف ويراسلها بل نشرت له مقالات فى المجلات العربية مثل الهلال والمنار وغيرها، وقد ذكر شبلى فى إحدى رسائله أسماء المجلات العربية التى كانت تصل إليه مثل: «ثمرات الفنون» فى تركيا و«السلام» من طرابلس والهلال والمنار والمؤيد والمقتطف من مصر.

وقد توطدت الصداقة بين شبلى والمفكرين المصريين عندما زار مصر عام ١٨٩٢م ومكث فيها أكثر من شهر «حيث أعد له الشيخ عبد الحليم (وهو شامى) حجرة واسعة فى رواق الشاميين بالأزهر»^(١).

وقد سنحت لشبلى الفرصة للقاء المصريين عن قرب والتجول فى القاهرة فزار مصر القديمة وآثارها وزار الأهرامات والمتحف المصرى والقلعة والآثار الإسلامية: الأزهر وجامع الحسين وجامع عمرو بن العاص ومسجد السلطان حسن، ومسجد محمد على وأضرحة السيدة زينب والإمام الشافعى والإمام الليث. وشاهد شبلى المسارح وبصفة خاصة دار الأوبرا التى أنشأها الخديو إسماعيل وشاهد مسرحية «نيوبيا» وهى مسرحية يونانية معربة، وذكر أن هناك مسارح خاصة إلى جانب المسارح الحكومية^(٢). وشاهد شبلى العديد من الجمعيات والأندية: «جمعية العلماء المصرية التى أسست عام ١٨٥٩م والمجمع العلمى الجغرافى وأنشأه الخديو إسماعيل عام ١٨٧٥م» وشارك شبلى بنفسه فى إحدى جلساته يقول: «إن مجالس المناظرات التى تعقد بكثرة فى مصر أتاحت الفرصة للمصريين لتطوير فن الخطابة والمحاضرات»^(٣).

وقد اطلع شبلى عن كذب على الحركة الثقافية المصرية فى ذلك الوقت ووصفها بأنها حركة عظيمة فى ظل الحرية التى ينعم بها المصريون ولن ينل الهنود مثلها، وزار شبلى المدارس والمعاهد العلمية مثل: مدرسة الحقوق ومدرسة الترجمة ومدرسة الطب وأعد تقريراً عن سير العملية التعليمية فى هذه المدارس من حيث الطلبة والمدرسون المناهج وطريقة التدريس والإقامة والمصاريف^(٤).

(٢) المرجع السابق: ٢٢٠.

(٤) شبلى: سفرنامه: ١٩٢ - ١٩٨.

(١) المرجع السابق: ١٨١.

(٣) المرجع السابق: ٢٢١.

وقد اهتم شبلى بزيارة المطابع والصحف يقول: «من الضروري أن نذكر هنا المطابع المصرية التى نالت شهرة كبيرة عن طريق طبع ونشر الكتب العربية ونشرها فى جميع أنحاء الهند ويوجد بمصر مطابع كثيرة بعضها جدير بالمدح خاصة مطبعة بولاق الحكومية التى ليس لها نظير من حيث طريقة الطباعة وجمالها ونوعية الورق، وكان محمد على باشا قد أنشأها عام ١٨٢٧م وقد قامت هذه المطبعة بجهد مشكور فى طبع كتب التراث النادرة، ولا شك أن أهم مزايا الكتب فى مصر أن مطبوعاتها رخيصة جدا عن مطبوعات نولكشور فى الهند» (١).

ويقول شبلى عن الصحف المصرية: «إن الصحف التى تصدر باللغة العربية تتجاوز الثلاثين صحيفة أشهرها المؤيد والمنار والمقطم والأهرام والتقدم إلى جانب الصحف والمجلات التى تصدر بالفرنسية والإنجليزية، وقد حصلت الصحف هنا على الحرية من الحكومة الإنجليزية لذا يكتبون فيها جميع الموضوعات بحرية، ولأن ما كتب من مؤلفات فى السياسة باللغة العربية قليل جدا، كما لم يستطع علماؤنا فى الهند كتابة عدة سطور فى هذا الموضوع (السياسة) لذا فإن بعض العلماء كان يظن أن الأفكار السياسية لا يمكن أن تؤدى على أكمل وجه فى هذه اللغة، إلا أن صحف مصر قد ضحكت هذه الفكرة تماما» (٢).

لقد كانت زيارة المكتبات والحصول على الكتب والمراجع اللازمة لمؤلفاته أحد الأسباب الهامة التى دفعت شبلى إلى هذه الرحلة؛ لذلك عندما وصل إلى مصر زار المكتبة الخديوية التى تطورت إلى دار الكتب المصرية فيما بعد وقال عنها أنها «أفضل من جميع مكتبات القسطنطينية من حيث الجمال المعماري وحسن التنظيم وأسلوب الترتيب وبها حجرة خاصة بالمخطوطات النادرة موضوعة فى دواليب زجاجية مفتوحة الصفحات من بينها إحدى نسخ القرآن المكتوبة على جلد غزال، ويقال إنها بخط الإمام جعفر الصادق. وأقيمت هذه المكتبة عام ١٢٨٦هـ وكانت فى بداية الأمر عبارة عن مكتبات صغيرة عديدة وقفها أصحابها الطلاب العلم وقد أقيمت المكتبة بناء على تقرير من على باشا مبارك مدير إدارة التعليم، وأمر الخديو بإعداد مجلس لها وأمر بإعداد فهرسها وبدأ العمل بها عام ١٣٠٠هـ وانتهى العمل بهذا الفهرس فى عام ١٣٠٩هـ ويقع

(١) شبلى: سفرنامه: ٢١٧ - ٢١٨.

(٢) المرجع السابق: ٢١٩.

فى ثمانية مجلدات للكتب العربية فقط، كما أن هناك فهرس منفصلة للكتب الفرنسية والإنجليزية والتركية^(١) وقام شبلى بإعداد فهرس إحصائى لعدد الكتب فى كل فن من الفنون فوجدها ١٤٧٠٥ كتاب، وكتب أسماء الكتب النادرة فى التفسير والحديث والتاريخ والأدب.

وقضية التعليم القديم والحديث من أهم القضايا الفكرية التى كانت تشغل بال شبلى وتلح على ذاكرته مرارا حتى أصبحت شغله الشاغل سواء فى الهند أو فى تركيا وكذلك فى مصر يقول: «إن للتعليم هنا (فى مصر) طريقتين مثل تركيا تعليم قديم وتعليم حديث ولكل منهما مناهجه المختلفة عن الآخر، وقد اضمحل كلاهما بسبب هذا الاختلاف، وقد فسد التعليم القديم الذى قارب ألف عام لأنه تعليم دينى ولا تستطيع الحكومة السيطرة عليه، بينما ازدهر التعليم الحديث لأن الحكومة تولت رعايته ونشرت المدارس فى القرى والمراكز وأعدت لهم الكليات وصارت الوظائف حكرا على الذين تلقوا التعليم الحديث ولم يقلوا بحال عن عشرة آلاف طالب، بينما كان فى الجامع الأزهر حامى التعليم وحده أكثر من عشرة آلاف طالب»^(٢).

ويصف شبلى العملية التعليمية فى الجامع الأزهر فيقول: «ليس هناك فى الدنيا جامعة تنافس الأزهر حيث يقيم داخل المسجد نفسه ما لا يقل عن أربعة آلاف طالب إلى جانب الكثير منهم يقيمون فى المنطقة التى تقع حوله، ويتم صرف الطعام لهم من الأزهر، ولا يقلوا عن اثنى عشر ألف طالب يتعلمون به، ولكل دولة حجرة كبيرة خاصة بطلبتها يقال لها «رواق» وفى صحن المسجد دواليب صغيرة لكل طالب دولاب يضع فيه كتبه وملابسه ومتاعه، وعندما جئت لزيارة المسجد لأول مرة كان الدوى والأزير ينبعث من بعيد داخل المسجد، وعندما ولجت فيه وجدت المدرسين يلقون دروسهم على الطلاب فى كل جنبات المسجد ويتحلق حوالى ثلاثين أو أربعين طالب حول كل أستاذ، ويصل عدد الأساتذة إلى أربعين أستاذا على رأسهم المدرس الأول ويسمى بشيخ الأزهر وهو شخصية لها وزنها، وتبلغ نفقات هذه المدرسة حوالى مائتى ألف روبية. وفى عام ١٨٩٤م وافقت مديرية التعليم على مائتى ألف أخرى «وينتقد شبلى سلوك بعض طلاب الأزهر فيقول: «إنهم بلاهمة ولا حمية، ويفتقدون أبسط أصول التربية، فينتشرون فى الأسواق مع العامة ويتسولون الطعام بلا حياء، ويحلفون للباعة برأس

(١) المرجع السابق: ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) شبلى: سفرنامه: ١٨٣ - ١٨٤.

الحسين فى كل تعاملاتهم، فهل يرجى خير من هؤلاء المتعلمين بعد ذلك وهم الذين يعول عليهم فى رفع شأن الإسلام^(١).

ثم يعنى شبلى فساد التعليم فى الأزهر حيث يدرس به النحو والفقہ فقط، فلا يدخل المنطق والفلسفة والرياضة والعلوم العقلية الأخرى ضمن المناهج ويدرس أصول الفقہ والتفسير والحديث والأدب والمعانى ولكن بقدر ضئيل مع التركيز على الشروح وشروح الشروح وحواشى الشروح دون اجتهاد أو تحقيق، وقد لمست فى أثناء إقامتى فى الأزهر اهتمام الطلاب بالجوانب الفرعية والجزئية واستمر تأثير هذه الطريقة العقيمة فى التعليم زمنا فلم يخرج الأزهر عالما أو مؤلفا مشهورا حتى إن شيخ الأزهر الذى يعد المدرس الأول لا يوجد له أى مؤلفات سوى حاشية لمعارك الشيخ الطبان، ومما يؤسف له أن التعليم لا يركز إلى أى أصول وقواعد، فليس هناك مقررات دراسية خاصة ولا تفيد بالصفوف الدراسية ولا الامتحانات وعندما حاول على مبارك - وكان وزيرا للتعليم فى ذلك الوقت - إصلاح عيوب الأزهر وقف جميع علمائه ضده فتراجع عن إصلاحاته. والأزهر فى الحقيقة قوة مدنية كبرى لا يستهان بها حتى إن الحكومة لا تجرؤ على مخالفته بسهولة^(٢).

وزار شبلى كلية دار العلوم وأعجب بطريقة التعليم بها يقول: «إن كلية دار العلوم من بين الكليات التى أعجبتنى فى مصر بل وفى جميع البلدان الإسلامية واعتبرها كافية لبيان آلام المسلمين، وأعتقد دائما أن المسلمين مهما بلغوا من تطور ورقى فى العلم الغربية فإنه لا يمكن أن يقال على رقيهم إنه رقى مادام لم يكن فيه تأثير التعليم الشرقى، نعم إن الخطة الحالية للتعليم الشرقى متخلفة وغير مجدية إلا أن فيه الروح القومية للمسلمين، ولا يمكن أن يحتفظ المسلمون بأى من هذه الأشياء مثل الدين والقومية والتاريخ ما لم يكن هناك تأثير مطلق لهذه الروح فى التعليم. إن المصيبة التى نبكى عليها فى الهند هى نفسها موجودة فى تركيا وبيروت ومصر وهى أن التعليم الحديث يضعف من تأثير الارتباط والتمسك بالدين والقومية، فى حين أن التعليم القديم ليس مؤهلا للتعامل مع تطور العصر الحديث، أما دار العلوم فإنها الوحيدة المؤهلة للجمع بين التعليم القديم والحديث مع أنها لم تنجح نجاحا كاملا حتى الآن، وقد جاءت فكرة إنشاء هذه الكلية فى البداية فى ذهن على مبارك أحد علماء مصر المتنورين الذين تلقوا

(١) المرجع السابق: ٢٠٢ - ٢٠٤.

(٢) شبلى: سفرنامه: ٢٠٥.

التعليمين الشرقي والغربي ويعرف عدة لغات أوروبية وظل مديرا لإدارة التعليم في مصر عدة مرات وله عدة مؤلفات تاريخية منشورة في جميع أنحاء العالم الإسلامي وقد أسس هذه الكلية بعد رفض شيوخ الأزهر للإصلاحات التي كان يقوم بها في مناهج التعليم في الجامع الأزهر. وكان الهدف المعلن من إنشاء هذه الكلية في بادئ الأمر هو اختيار خريجي هذه الكلية للتدريس في المدارس الحكومية، وفي عام ١٨٨٨م وافقت مديرية التعليم بأن يُعين خريجوها في وظيفة القضاء والإفتاء^(١).

وقد حضر شبلي دروس هذه الكلية^(٢) وأثنى على «طريقة التدريس بها وعلى الفصاحة التي يلقي بها الأستاذ المحاضرة حيث اختير لها أساتذة مشهورون مثل الشيخ حمزة فتح الله^(٣) أستاذ الأدب والأستاذ حسن الطويل^(٤) مدرس الحديث والدكتور عثمان بك أستاذ التاريخ الطبيعي وكلهم من أشهر علماء مصر ولهم مؤلفات قيمة».

لقد ركز شبلي فيما مضى على قضية إصلاح التعليم والتوفيق بين التعليم القديم والحديث وهي قضية طالما شغلت فكر شبلي ولهذا عندما زار مصر لفت نظره كلية دار العلوم والجمع بين التعليم القديم والحديث بطريقة مفيدة وأشاد بمؤسسها على مبارك

(١) المرجع السابق: ١٨٧ - ١٨٨.

(٢) المرجع السابق: ١٩٠ - ١٩١.

(٣) الشيخ حمزة فتح الله (١٢٦٦ - ١٣٣٦هـ = ١٨٤٩ - ١٩١٨م).

حمزة فتح الله المصري ابن السيد حسين بن محمد شريف التونسي، أديب من علماء مصر ولد في الإسكندرية وانتقل إلى القاهرة، فتعلم في الأزهر. وسافر إلى تونس فتولى إنشاء جريدة «الرائد التونسي» الرسمية، وأقام ثمانى سنوات. وعاد إلى الإسكندرية فحرر جريدة «البرهان» ثم «الإعتدال» وعين مفتشا أول للغة العربية في وزارة المعارف. وانتدبته حكومة مصر لحضور مؤتمر المستشرقين في فيينا واستوكهلم. وقضى في وزارة المعارف نحو ثلاثين عاما ثم أحيل إلى المعاش سنة ١٣٣٠هـ، فعكف على البحث إلى أن توفى وكف بصره. ومن آثاره «باكورة الكلام على حقوق النساء في الإسلام» و«المواهب الفتحية» مجلدان و«هداية الفهم إلى بعض أنواع الوسم» و«الترجمة والتعريب» و«التحفة السنوية في التواريخ العربية» وله شعر (الأعلام: ٢/ ٢٨٠).

(٤) حسن الطويل (١٢٥٠ - ١٣١٧هـ = ١٨٣٤ - ١٨٩٩م).

حسن بن أحمد بن علي، أبو محمد الطويل، فاضل مصري مالكي ولد في منية شهالة بالمنوفية وتعلم بطنطا ثم بالأزهر. واشتغل بالتدريس وتولى تصحيح ما يطبعه ديوان الجهادية (الحربية) ثم كان مفتشا في وزارة المعارف، ولما قام «المهدى» بالسودان وعظم أمره واستولى على البلاد السودانية جاهر حسن الطويل بنصرته وساء الإنجليز ذلك فراقبوه وكاد يصبه أذاهم وكان شديد الإنكار على المبتدعة ووصفه تلميذه أحمد تيمور بالورع. له «عنوان البيان» في التفسير. (الأعلام: ٢/ ١٨٣).

أحد رجال التنوير فى القرن الماضى وكان مديرا للإدارة التعليمية ومن الخبراء المهتمين بتطوير التعليم فى ذلك الوقت وله مؤلفات تاريخية عديدة، ولقد قام شبلى بهذه الطريقة وقام بتأسيس دار علوم أخرى فى الهند على غرار كلية دار العلوم فى مصر وأصبح مديرا لها من عام ١٩٠٥ حتى عام ١٩١٣م. وإننا لنلمح وجوها كثيرة للشبه بين على مبارك فى مصر وشبلى النعمانى فى الهند فكلاهما من رجال التنوير فى القرن الماضى، وتلقى كل منهما تعليما قديما وحديثا، وكلاهما اهتم بالعملية التعليمية وإصلاح التعليم فى بلده فكان على مبارك مديرا للتعليم فى مصر وشبلى مديرا للتعليم فى حيدرآباد، وأسس على مبارك المكتبة الخديوية عام ١٨٦٨م بينما أسس شبلى دار المصنفين فى عام ١٩١٠م، وأنشأ على مبارك دار العلوم فى مصر وأنشأ شبلى دار العلوم فى الهند، وشارك على مبارك فى مؤتمرات دولية ومحلية لإصلاح التعليم وشارك شبلى فى مؤتمرات عديدة فى الهند لإصلاح التعليم، ألف على مبارك مؤلفات تاريخية هامة أشهرها تكميل الخطط والآثار للمقريزى، وكتب شبلى كتبا تاريخية عديدة أهمها: الفاروق والمأمون وسيرة النعمان. نال على مبارك أوسمة تقديرية من ملك فرنسا وملك النمسا، ونال شبلى لقب «شمس العلماء» من ملكة بريطانيا، و«الوسام المجيدى» من السلطان عبد الحميد سلطان تركيا.

وقد واتته الفرصة للقاء رموز التعليم الحديث فى ذلك الوقت: على مبارك وعلى إبراهيم وأمين فكرى وأحمد زكى. وأنصار التعليم القديم: الشيخ حمزة فتح الله والشيخ محمد عبده وتعرف شبلى على أحمد زكى والتقى به أكثر من مرة وعندما عاد شبلى إلى الهند كتب مقالة عن أحمد زكى بعنوان «النظر فى السفر إلى المؤتمر» وكان أحمد^(١) زكى قد أرسل لشبلى نسخة من كتابه «السفر إلى المؤتمر» الذى يروى فيه وقائع حضوره الاجتماع التاسع لمؤتمر الاستشراق فى لندن نائبا عن الخديو.

(١) أحمد زكى باشا (١٢٨٤ - ١٣٥٣هـ = ١٨٦٧ - ١٩٣٤م).

أحمد زكى بن إبراهيم بن عبد الله شيخ العربية، أديب بحانة مصرى، من كبار الكتاب، ولد بالأسكندرية وتخرج بمدرسة الإدارة والحقوق. وأتقن الفرنسية، وكان يفهم الإنجليزية والإيطالية، عين مترجما لمجلس النظار ومنح لقب باشا واتصل بعلماء المشرقيات ومثل مصر فى مؤتمراتهم وقام بفكرة إحياء الكتب العربية فطبعت الحكومة المصرية عدة مخطوطات وتولى هو تصحيحها ومراجعتها: ومن كتبه: «السفر إلى المؤتمر» و«موسوعة العلوم العربية» و«أسرار الترجمة» و«قاموس الجغرافية القديمة» و«الدنيا فى باريس» و«التعليم فى مصر» وغيرها.

(شبلى: مقالات شبلى: ٤/ ١١٥ - ١٢٦) و(الأعلام: ١/ ١٢٦ - ١٢٧).

التقى شبلي بالشيخ محمد عبده وبحثا معا قضايا التعليم العربى والمدارس العربية ونوه بخدماته وأشار إلى أنه « من رموز التعليم القديم ويسلم بأستاذيته فى فن الأدب فى مصر والشام وكتب شرحا رائعا لمقامات بديع الزمان وهو تلميذ جمال الدين الأفغانى وكتب رسالة عن الأفغانى ذكر فى مقدمتها سيرته باختصار» ثم يقول شبلى « لقد التقيت به وتألنا على فساد التعليم بالأزهر لكنه كان مع هذا يشتكى من التعليم الحديث ويقول: « هؤلاء أضل سبيلا» وللأسف فإن الحكومة أسندت له مهمة القضاء، بينما كان من المناسب أن يتولى مسؤولية إدارة التعليم»^(١).

وتعرف شبلى على رجال الصحافة المصرية مثل: محمد رشيد رضا صاحب «المنار» وجورجى زيدان صاحب مجلة «الهلال» وسوف نفصل القول فيهما فى السطور التالية:

* جورجى زيدان:

توطدت العلاقة الثقافية بين شبلى وجورجى زيدان عن طريق المراسلة، فقد كان شبلى يرأسه ويكتب إليه بمقالات وموضوعات مختلفة وكان جورجى ينشر بعضها فى مجلته «الهلال»؛ ولذلك عندما انتهى شبلى من كتابة مؤلفه «الجزية» أرسل نسخة منه إلى جورجى الذى قام بدوره بالتنويه عن هذا الكتاب فى مجلته يقول: «أهدانا حضرت الفاضل شمس العلماء شبلى أفندى النعمانى أستاذ اللغة العربية بكلية عليكره من بلاد الهند نسخة من رسالة ألفها فى «الجزية فى الإسلام باللغة الهندية وترجمها أحد أصدقائه إلى الإنجليزية بحث فيها عن أصل وضع الجزية، وكيفية وضعها ومقدارها فى صدر الإسلام وفيه رد على القائلين بأن فرض الجزية حمل الناس فى صدر الإسلام على اعتناق الديانة الإسلامية تخلصا من أذائها، والرسالة جديرة بالنقل إلى اللسان العربى فنثنى على حضرة مؤلفها لاجتهاده فى خدمة العلم والتاريخ»^(٢).

وعندما قرأ شبلى هذا التنويه قام بترجمة كتابه الجزية إلى اللغة العربية حتى يستطيع قراء العربية الاطلاع عليه والاستفادة منه مثلما قام سيد أحمد خان بترجمته إلى اللغة الإنجليزية ليطلع عليه الأوربيون. وقد عاد جورجى زيدان وذكر هذا الكتاب مرة أخرى فى مجلته يقول: « ذكرنا فى الهلال الثانى من السنة الثالثة كتاب الجزية الذى ألفه

(١) شبلى: سفرنامه: ٤/ ١١٥ - ١٢٦) و(الإعلام: ١/ ١٢٦ - ١٢٧).

(٢) مجلة الهلال: الجزء الثانى. السنة الثالثة - ١٥ سبتمبر ١٨٩٤ م: ص: ٧٩ - ٨٠.

شمس العلماء شبلى أفندى النعمانى بالهندية وترجمة بعض أصدقائه إلى الإنجليزية، وقد التمسنا منه ألا يحرم العربية من فوائده فأجاب أعزه الله ملتسنا ونقله إلى اللسان العربى وقد طبع فى الهند بمطبعة حجر بخط جميل. وموضوعه دفع دعوى القائلين بأن الجزية من مخترعات المسلمين وأنهم إنما أقاموها لإذلال أهل الذمة والكتاب صغير الحجم كبير الفائدة» (١).

وقد تنامت أواصر الصداقة بين شبلى وجورجى زيدان وكان أساسها احترام كل منهما لراى الآخر وظهر ذلك جليا على صفحات مجلة الهلال. وعندما توفى القاضى مهدى حسن الاخ الأصغر لشبلى فى ٢٧ يونيو ١٨٩٧م قام جورجى زيدان بنشر تعزية له فى الهلال يقول فيها: «نتقدم إلى صديقنا الفاضل شمس العلماء الشيخ شبلى النعمانى الهندى بمراسم التعزية على فقد المرحوم شقيقه وكان شابا ذكيا تناول العلم وتبحر فى القضاء بمدرسة كمبردج بإنكلترا ورجع إلى الهند فتولى فيها مركزا قضائيا ففاجأته المنية فقصف غصنا رطبا رحمه الله رحمة واسعة» (٢).

ونستطيع أن نتلمس مدى تقدير جورجى زيدان لشبلى النعمانى وعلمه الغدير بما كان يكتبه جورجى عنه فى مجلة الهلال، فيقول عند الحديث عن كلية على كَر ط هـ: «هى أعظم مدرسة كلية إسلامية فى الهند تعلم فيها اللغات الهندية والفارسية والعربية والإنجليزية، عدد أساتذتها نحو خمسة عشر أستاذا فى جملتهم صديقنا الفاضل شمس العلماء الشيخ شبلى النعمانى أستاذ العربية فيها، وهو من كبار المحققين» (٣).

وقام شبلى بإرسال هذه المقالة عن عبد الله بن المقفع إلى جورجى زيدان لنشرها فى مجلة الهلال فنشرها تحت عنوان «إسلام عبد الله بن المقفع» يقول شبلى:-

«وقفت على مباحثات جرت بين المقتطف وبين بعض مكاتبه فى شأن إسلام عبد الله بن المقفع الكاتب الطائر الصيت. وإيم الله ما كنت أحسب أن مسألة مثل هذه تكون معتركا لا يبطال الأدب ودرية لسهام الأفكار وكل ما فى هذه المباحثات من طرق الاستدلال ووجوه الحجج فهى عجائب بعضها فوق بعض كيف لا وأن فاضلا كحضرة الأمير شكيب أرسلان تخفى عنه نصوص ابن خلكان، وأن حكيم كالاب لويس شيخو

(١) مجلة الهلال: الجزء الثانى. السنة الرابعة - ١٥ ديسمبر م ص: ٧٩ - ٨٠.

(٢) مجلة الهلال: الجزء الثالث. السنة السادسة - ١ ديسمبر ١٨٩٧م ص: ٧٢٢.

(٣) مجلة الهلال: الجزء الأول - السنة السابعة - ١ أكتوبر ١٨٩٨م ص: ٨.

يستنكف عن الإذعان للحق ويدافع بالنسيان والذهول وأن فيلسوفا كصاحب المقتطف يحتج على نصرانية عبد الله بن المقفع بأنه كان متهما بالزندقة . وأن الزندقة هي المجوسية والمجوس أكثرهم تنصروا أو مالوا إلى النصرانية .

ونحن نكشف عن جليلة الحال حتى لا يبقى لأحد مقال، فأما إسلام عبد الله بن المقفع فلسنا نحتاج إلى إثباته إلى نصوص المتأخرين كابن خلكان وأمثاله فذلك ابن النديم الذي هو في الرعيل الأول من قدماء المؤرخين نص على إسلامه في كتابه الفهرست فقال :

« اسمه بالفارسية روزبه وهو عبد الله بن المقفع ويكنى قبل الإسلام أبا عمرو فلما أسلم تكنى بأبي محمد » . وقال الشريف المرتضى علم الهدى في كتابه الدرر والغرر « وروى ابن شبة قال حدثني من سمع ابن المقفع وقد مر بيت نار للمجوس بعد أن أسلم فلمحه وتمثل » وقال الصنعاني في العباب « عبد الله بن المقفع كان فصيحاً بليغاً واسمه روزبه وكان قبل إسلامه يكنى بأبي عمرو فلما أسلم تسمى بعبد الله وتكنى بأبي محمد » ، وفي كنيته ما يغني عن المباحث كلها فهل سمعت نصرانيا يكنى بأبي محمد !!

فأما اتهامه بالزندقة فله أسوة بكثير من سلاطين الملة الذين كانوا زعماء الأدب وبهم قامت دعائم العلم قال ابن النديم في كتابه الفهرست « ذكر من كان يرمى بالزندقة من الملوك والرؤساء قيل إن البرامكة بأسرها إلا محمد بن خالد بن برمك كانت زنادقة وكان محمد بن عبد الله كاتب المهدي زنديقا واعترف بذلك فقتله المهدي ، وقرأت بخط بعض أهل المذاهب بأن المأمون كان منهم (وكذب في ذلك) انتهى ما قاله ابن النديم . والسرفى ذلك أن أهل القرن الأول من الإسلام وكذلك الثاني كانوا يكرهون الفلسفة والعقليات إلا الخواص منهم فكل من كان له مزيد اعتناء وميل مفرط إلى العلوم العقلية كانت العامة ترميهم بالزندقة وزد على ذلك أن ابن المقفع كان قد ترجم كثيرا من كتب زنادقة المجوس كما صرح به المسعودي في كتابه مروج الذهب .

فأما ما استدل به صاحب المقتطف من أنه ترجم الكتب اليونانية فهذا لم يكن لأجل ميله إلى النصرانية ولا يستدل به على معرفته باللسان اليوناني فإن الكتب التي ترجمها إنما ترجمها من تراجمها التي كانت بالفارسية لا من أصلها اليوناني . قال صاحب كشف الظنون تحت لفظة الحكمة « وكانت الفرس نقلت في القديم شيئا من كتب المنطق والطب

واللغة الفارسية فنقل ذلك إلى العربي عبد الله بن المقفع وغيره». ولذلك جعله ابن النديم وغيره في عداد النقلة من الفارسي إلى العربي. طالع كتاب الفهرست صحيفة ٣٣٣. (شبلې النعماني أحد أعضاء الكلية البريطانية في الهند - على كره من بلاد الهند) (١).

في تلك الفترة كان جورجى زيدان يجمع مادة كتابة «تاريخ التمدن الإسلامى» الذى صدر فى خمسة مجلدات ولذلك عندما انتهى من تأليف المجلد الأول منه عام ١٩٠٢م أرسله إلى شبلې فى الهند ليبدى رأيه فيه وكان جورجى قد نوه فيه بشبلې بوصفه العلامة الهندى الشهير ونقل رأيه فى أصل كلمة «الجزية» عندما رجع إلى كتاب شبلې «الجزية» وقد نشر بالعربية عام ١٨٩١، وبالإنجليزية عام ١٨٩٤م (٢).

وعندما تلقى شبلې الجزء الأول من كتاب جورجى قرأه بتمعن وبعين المؤرخ الحبير الذى اهتم كثيرا بالتاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامىة وكتب فى هذا الصدد مؤلفات عديدة منها: المامون والفاروق والغزالي وغيرها من الموضوعات المتعلقة بالتاريخ والحضارة الإسلامىة التى لا يمكن حصرها فى هذا المكان. وقرا شبلې كتاب جورجى وغضب غضبة مضرية وعلى الفور خرجت ملاحظاته القيمة فى صورة كتاب هو «الانتقاد على التمدن الإسلامى» يقول «مما يناسب ذكره فى هذا المقام أن المؤلف لما أنجز الجزء الأول من كتابه «تاريخ التمدن الإسلامى» أرسله إلى فكتبت إليه بعد الإعجاب به أنه لا بد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك من أجل أننى أخاف عليه التدليس» (٣).

وقد أرسل شبلې ملاحظاته على الجزء الأول إلى جورجى زيدان لكى يتلافها فى الجزء الثانى وقراها جورجى زيدان وعلق عليها فى مقدمة الجزء الثانى يقول: «وقد توسمنا فى مجمل ما قرأناه من التقارير والانتقادات على ذلك وبينهم بضعة من علماء الهند وفارس نذكر منهم عالما كبيرا من علماء الهند عرف قراؤه فضله من بعض مانشر بينهم من آثار علمه - نعننى صديقنا شمس العلماء الشيخ شبلې النعمانى ناظر العلوم والفنون فى حيدر آباد فإنه من أوسع الناس إطلاعا على التاريخ الإسلامى وآدابه. فلما

(١) مجلة الهلال - الجزء ١٧، ١٨ السنة الثامنة - ١٥ يونيو ١٩٠٠ ص: ٥٥٩ - ٥٦٠.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى: ١/١٦٩.

(٣) شبلې النعمانى: الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامى: ٣٨.

اطلع على الجزء الاول كتب إلينا كتابا يسفر فيه عن تقديره هذا الموضوع حق قدره ولكنه انتقد إغفالنا ذكر المآخذ فى ذبول الصفحات قال : تسلمت كتاب تاريخ التمدن الإسلامى بغاية الشوق لأن موضوع الكتاب يهمنى بنوع خاص . ولم أعرضه على أحد إلا وأعجب به غاية الإعجاب وطنى أن تأليفكم هذا يترجم إلى لساننا الأردو (الهندستانى) ، ولاشك أنه يقع موقع القبول فى البلاد الإسلامية كلها ولكننى أنتقد عليكم أمرا لايسعنى كتمانها وهو أن دأبكم فى التأليف أنكم تكتفون بذكر مصادر الكتاب فى أوله إجمالا من غير التزام الاستشهاد فى كل محل وموضع - وفيه مفاصد كثيرة - منها أننا رأينا من مستشرقى أوروبا يذكرون أمورا مهمة من المسائل العلمية أو الاختراعات وينسبوننها إلى العرب فتغتر بذلك، ويذهب بنا الفخر كل مذهب ثم إذا راجعنا الاصل وحققنا يظهر أنهم استنوقوا الجمل، وما كان هناك شىء يذكر ولا مآثر تنقل - لا نقول إنهم يتعمدون الكذب ولكنهم يتغلطون فى الاستنباط . فلو كانوا يذكرون مصادر الرواية ومآخذها لكان يسهل لنا المراجعة إذا مست الحاجة . ومنها أن كتب التواريخ لها مد ارج ومراتب فما لم تذكر أسماء الكتب بالخصوص لا يتميز جيد الرواية من رديتها ولا أقواها من أضعفها فلما عمدنا إلى كتابة هذا الجزء رأينا أن نعود إلى رأينا الأول فنذيل صفحاته بالمآخذ التى اعتمدنا عليها مع تعيين الكتاب والجزء والصفحة (١) .

وقد ذكر جورجى زيدان فى هذه المقدمة الطويلة امثاله لملاحظات شبلى وعزم على الالتزام بها فى الجزء الثانى إلا أن جورجى زيدان لم يلتزم حرفيا بهذه الملاحظات فعاد شبلى فقال : « أظهر المؤلف فى مقدمة الجزء الثانى أنه عمل بذلك فيذكر الكتاب، والجزء والصفحة، ولكن من الاسف أن كل هذا ما أجدى نفعا فإنه لا يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فإن النسخ مختلفة ولايدرى أى نسخة أرادها وبسبب ذلك ما اهتدينا إلى خياناتها، ومن المحقق المستيقن به أنه ما نقل إلا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة واندهاش» (٢) .

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ٧ / ٢ - ٨ .

(٢) شبلى : الإنتقاد على تاريخ التمدن الإسلامى : ٣٨ .

ثم عاد جورجى زيدان وأشار إلى مانبيه إليه شبلى مرة أخرى في مقدمة الجزء الثالث « من تاريخ التمدن الإسلامى » يقول : « ومع ذلك فإننا نرى كتابنا ينقلون هذه الاخبار على علاقتها فرحا بتعداد مآثر العرب ولو نقبوا على أساسها لذهب فرحهم وهذا ما نبهنا إليه صديقنا النعمانى العالم الهندى فى كتابه الذى نشرنا خلاصته فى مقدمة الجزء الماضى إذا اقترح علينا أن نذيل صفحات كتابنا هذا بالمآخذ التى ننقل عنها وقد اطعناه» (١).

وفى موضع آخر من مجلة الهلال نشر جورجى زيدان أن هذه الرسالة التى جاءت من شبلى تحت عنوان « تاريخ التمدن الإسلامى فى نظر المستشرقين » يقول : « نذكر رأى علم علماء المسلمين فى الهند الاستاذ شبلى النعمانى صاحب المؤلفات الكثيرة فى آداب العرب والمسلمين وناظر العلوم والفنون فى حيدرآباد لما فى عبارته من صدق اللهجة، فقد كتب إلينا بالامس يقول : « طالعت الجزء الثالث من كتابكم التمدن الإسلامى والحق يقال إنكم متفردون من بين أهل النشأة الجديدة بسعة النظر وحسن الاختيار وإصابة الرأى غير ما كان من عزوكم إحراق مكتبة الإسكندرية إلى المسلمين فإن هذا فرية من غير مرية ولولا أنى فى أسر المرض لكتبت فى هذا ما يميظ الحجاب عن وجه الحقيقة . فنطلب إليه تعالى أن يقرب شفاء العالم الهندى لنستفيد من آرائه والمناظرة تجلو الحقيقة - على أننا اطلعنا على أقواله فى هذا الشأن منذ بضعة عشر عاما فى رسالة نشرها بالهندية والإنجليزية وقرظناها(*) فى السنة الثانية من الهلال وهى لاتخرج فى أسانيدها عما ذكرناه من أقوال العلماء الذين ينكرون إحراق العرب لهذه المكتبة وفندناها . فلعل صديقنا النعمانى قد عثر على أسانيد جديدة تؤيد رأيه فنرجو نشرها خدمة للحقيقة فإنها ضالتنا المنشودة» (٢).

(١) جورجى زيدان : تاريخ التمدن الإسلامى : ٤/٣ .

(*) كتب جورجى زيدان تقریظ مقتضب على كتاب شبلى « كتب خانة اسكندرية » فى ١٥ أكتوبر عام ١٨٩٣ م يقول : « كتب عالم الهند الشيخ شبلى النعمانى رسالة بعنوان « كتب خانة اسكندرية » اى خزنة الإسكندرية ليدفع بها دعوى القائلين بان المسلمين قاموا بإحراق مكتبة الإسكندرية وذلك بالبراهين والأدلة الساطعة وقد كتبها بلسان الهندستانى، وقام صديقه المصلح الهندى الكبير السيد أحمد خان بنقلها إلى الإنجليزية حتى نعم الفائدة وهى رسالة جديرة بالنقل إلى اللسان العربى فله شكرنا و« شكر حضرات القراء » .

(٢) مجلة الهلال : الجزء الثانى - السنة الرابعة عشرة - ١ أكتوبر ١٩٠٤ م . ص : ٤٧ .

وبالفعل فقد من الله على شبلى بالصحة والعافية وكتب كتابه القيم «الانتقاد على تاريخ التمدن الإسلامى»^(١) وتناول موضوع حريق مكتبة الإسكندرية بالأدلة والبراهين وأبعد تهمة الإحراق عن المسلمين.

وقد رجع جورجى زيدان فى الجزء الثالث إلى رسائل شبلى (مقالات شبلى) أكثر من مرة يقول «ووقفنا على كتاب فى اللغة الهندساتية (الأردية) للنعمانى المشار إليه سماه «رسائل شبلى» ذكر فيه فصولا من مدارس العرب ومارستاناتهم ومكاتبتهم ذيلها بالإسناد وهو كتاب جليل»^(٢).

وكان شبلى فى الخطاب الذى أرسله إلى جورجى زيدان ونشره فى مقدمة الجزء الثانى قد أشار إلى أهمية هذا الكتاب، وإمكانية ترجمته إلى الأردية بقوله «وظنى أن تأليفكم هذا يترجم إلى لساننا الأردى (الهندستانى)». وقد تحقق ذلك وترجم الجزء الأول من الترجمة الأردية (الهندساتية) مطبوعا على الحجر فى أمر تسار (الهند) بقلم الشيخ محمد غلام منشىء جريدة وكيل الهندية الشهيرة^(٣)، وسيصدر الجزء الأول من الترجمة الفارسية قريبا بقلم ميرزا ذكاء الملك صاحب جريدة «تربيت» الفارسية^(٤).

وقد ظل جورجى ينشر أخبارا عن شبلى النعمانى والحركة الثقافية فى الهند فى عهده فقام بالتنويه عن مجلة الندوة فى مجلة الهلال يقول: «هى مجلة علمية حكيمة تاريخية تصدر فى لكناو (الهند) باللغة الأوردية (الهندساتية) مرة فى الشهر ويكفى فى تعريف منزلتها من عالم الأدب أن محررها الأستاذ شبلى النعمانى، وليس بين قراء الهلال من لم يعرف اسمه بما اطلعوا عليه من نشات يراعه. والرجل أكبر الذين عرفناهم من علماء الهند وكتابهم وأوسعهم اطلاعا فى العلوم الإسلامية وآداب اللغة العربية وهو عضو فى الجمعية الآسيوية وأستاذ فى كلية عليكره الإسلامية وناظر العلوم والفنون بحيدرآباد الدكن (سابقا) ومدير سياسة ندوة العلماء. تشقف فى

(١) صدر هذا الكتاب فى يناير ١٩١٢م.

(٢) جورجى زيدان: تاريخ التمدن الإسلامى: ٥/٣.

(٣) صدرت الترجمة عام ١٩٠٥م.

(٤) المرجع السابق: ٣/٤.

أحسن مدارس الهند على أعظم أساتذتها ورحل إلى أشهر المدائن الهندية وغيرها من الاقطار الشرقية في الحجاز، والشام، وفلسطين، ومصر، وآستانة، واطلع على ما فى خزائن الكتب هناك من المؤلفات الخطية وتفقد ما بلغ إليه الشرق الأدنى من أسباب المدنية وعاد إلى بلاده وأخذ فى خدمة وطنه بالتعليم والتأليف فظهر فضله ونال من الحكومة الإنجليزية لقب «شمس العلماء» وعين عضوا فى الكلية البريطانية فى إله آباد. وله عدة مؤلفات بعضها فى العربية وبعضها فى الأوردية والبعض الآخر فى الإنجليزية وغيرها بالفارسية. فالرجل الذى هذا مبلغ علمه وفضله يجدر بأن يتسابق طلاب الأدب إلى مطالعة مجلته، ولكنها للأسف مكتوبة بلغة لا يفهمها أحد من أهل العربية فترغب إلى محررها العالم أن يجعلها مشتركة بين اللسانين فائدتها أدباء الامتين، لأن أبحاثها عمرانية على العموم وإسلامية على الخصوص»^(١).

وتحت عنوان «اللغة العربية فى مدارس الهند» يقول جورجى زيدان فى مجلة الهلال «قرأنا فى مجلة البيان الهندية التى تطبع فى لكناو أن الحكومة الإنجليزية أصدرت أمرها بترقية تعليم اللغة العربية فى الهند وإيصالها إلى درجة تكفل البراعة فيها، وقد أعلنت أنها تتبرع برواتب معلمى تلك اللغة فى كلية عليكره الإسلامية الشهيرة من خزينتها وهى تبلغ ١,٥٠٠ روبية كل شهر.

وجاء فيها أيضا أن الاستاذ شبلى النعمانى يطوف البلاد الهندية يجمع الإعانات لإنشاء مدرسة ندوة العلماء الإسلامية، فنزل مدينة شمله وهى المركز الصيفى للحكومة الإنجليزية، فخطب فيها خطبة استنهض بهم الهمم، واستحث أصحاب الاموال على البذل، فتسابق الفضلاء على الاكتتاب فى هذا السبيل. والاستاذ شبلى من كبار أركان النهضة الإسلامية الحديثة فى الهند»^(٢).

(١) مجلة الهلال: الجزء الثانى - السنة الرابعة عشرة - ١ نوفمبر ١٩٠٥م: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) مجلة الهلال: الجزء الثالث - السنة الرابعة عشرة - ١ ديسمبر ١٩٠٥م: ص: ١٩٠.

* محمد رشيد رضا :

بدأت علاقة شبلى برشيد^(١) رضا عندما أرسل له كتاب «الانتقاد على التمدن الإسلامى» لينشره فى مجلته «المنار» فنشره رشيد رضا فى مقالات مسلسلة، ثم نشره على هيئة كتاب مستقل وقدم له بمقدمة، ومنذ ذلك الوقت توطدت العلاقات الطيبة بينهما وقويت عرى الصداقة بينهما عندما لى رشيد رضا دعوة شبلى لرئاسة الجلسة السنوية لندوة العلماء فى لكانا بالهند عام ١٩١٢م كما سبق ذكره.

وكان شبلى قد انتهى من قراءة الجزء الخامس من كتاب «التمدن الإسلامى» لجورجى زيدان، وقرر أن يكتب كتاباً ينتقده فيه فجاء رد شبلى حاسماً وقاطعاً لم يخش فيه لومة لائم وهو المدافع عن التاريخ الإسلامى وحضارته وبتلك الشجاعة المعهودة عنه كتب «الانتقاد على التمدن الإسلامى» وأرسله لرشيد رضا فنشره فى مجلة المنار ولم يكن يتوقع أن يكون الرد شديداً هكذا يقول: «جاءنى فى فاتحة هذا العام وورقات مطبوعة من مصنف جديد فى الانتقاد على هذا التاريخ لعالم شهير من علماء الهند يعده جورجى أفندى زيدان صديقاً له وهو شمس العلماء الشيخ شبلى النعمانى - رئيس جمعية ندوة العلماء - وجاءنى معه كتاب من مؤلفه يرغّب إلى فيه أن أنشر هذا الانتقاد فى المنار ليعم نفعه، وهذا الكتاب هو الذى دعانى فيه أول مرة إلى مؤتمر ندوة العلماء، ورئاسة احتفاله السنوى هذا العام (١٩١٢م) ولما رجحت إجابة الدعوة صار لنشر هذا الانتقاد فى المنار ثلاثة دواع: فائدة الانتقاد فى نفسه وإجابة اقتراح كاتبه لعلمه وفضله والحاجة إلى مادة للمنار فى مدة سفرى إذ لا يتيسر لى أن اكتب فى السفر كل ما يحتاج إليه من

(١) محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م).

محمد رشيد بن على رضا خليفة القلمونى، البغدادى الأصل، الحسينى النسب: صاحب مجلة «المنار» وأحد رجال الإصلاح الإسلامى، من الكتاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ فى القلمون من أعمال طرابلس الشام وتعلم فيها ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلزم الشيخ محمد عبده وتلمذ له ثم أصدر مجلة «المنار» لبث آرائه فى الإصلاح الدينى والاجتماعى، وأصبح مرجع الفتيا فى التأليف بين الأوضاع القديمة والعصرية الجديدة وقصد الشام وانتخب رئيساً للمؤتمر السورى وغادرها عام ١٩٢٠ فإقام فى مصر ثم رحل إلى الهند والحجاز وأوربا ثم عاد وتوفى فى مصر. وأشهر آثاره: مجلة «المنار» أصدر منها ٣٤ مجلداً وتفسير القرآن الكريم: اثنا عشر مجلداً منه ولم يكتمل، و«تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده» ثلاثة مجلدات. «نداء للجنس اللطيف» و«الروحى المحمدى» و«الخلافة» و«الوهابيون والحجاز» و«محاورات المصلح والمقلد»، وللامير شكيب أرسلان كتاب فى سيرته سماه «السيد رشيد رضا أو إخوان أربعين عاماً». (الأعلام: ٦/ ١٢٦).

المواد. أذنت بنشر الانتقاد في المنار، وسافرت بعد الشروع فيه، ولم أكن أعلم بكل ما جاء فيه من الإنحاء الشديد من المنتقد على مؤلف تاريخ التمدن الإسلامي ورميه بالتحريف والكذب في النقل واتهامه بسوء النية والقصد، ولم أكن أتصور منه كل هذه الشدة في التهمة وإبرازها في أقبح صورة لعلمي ما بينهما من المودة الأدبية والصحبة القلمية ولو علمت بذلك لاستأذنت من المنتقد في حذف تلك الألقاب والتلطف في هاتيك العبارات»^(١).

ومع أن رشيد رضا كان من المعترضين والمنتقدين لكتاب التمدن إلا أنه لم يجرؤ أن يقول ما كان ينبغي أن يقوله خوفاً على علاقة الصداقة بينه وبين جورجى، تلك الصداقة التي توثقت عراها على صفحات مجلتيهما «المنار» و«الهلال»، بل إن جورجى نفسه لم يصدق ما قرأه في مجلة المنار وظن أن هذا الرد منسوب إلى شبلى يقول: رشيد رضا: «يقول جورجى زيدان إنه رأى الانتقاد على كتاب التمدن الإسلامي فلم يصدق أنه له ولم يشأ أن يتنازل عن صحبة عشرين سنة قبل التثبيت بسؤاله عنه وطلب منه أن ينكر عزوه إليه، ولكن الأستاذ (شبلى) لم يجبه بشيء ليعلم أن السكوت إقرار»^(٢).

(١) شبلى: انتقاد كتاب تاريخ التمدن الإسلامي (طبعة المنار - مصر): ٥ - ٦.

(٢) شبلى: المرجع السابق: ٦ - ٨.

obeikandi.com